قصص

مازن معروف

الجرذان التي لحست أذني بطل الكاراتيه

براءات المتوسط

حقوق النسخ والتأليف © ٢٠١٧ **منشورات المتوسط** - إيطاليا.

جميع الحقوق محفوظة. لا يُسمح بنسخ أو استعمال أو إعادة إصدار أي جزء من هذا الكتاب سواء ورقياً أو إلكترونياً أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي من الناشر. ويجوز استخدامه لأغراض تعليمية أو لإصدار كتب موجهَّة إلى ضعيفي البصر أو فاقديه شريطة إعلام الدار. تستثنى أيضاً الاقتباسات القصيرة المستخدمة في عرض الكتاب.

Aljurthan Alati Lahasat Uthunai Batal Al-Kararte ***by*** "Mazen Maarouf"
Copyright © 2017 by **Almutawassit Books**.

المؤلف: مازن معروف / عنوان الكتاب: الجرذان التي لحست أذني بطل الكاراتيه
الطبعة الأولى: ٢٠١٧.
تصميم الغلاف والإخراج الفني: الناصري

ISBN: 978-88-99687-62-5

منشورات المتوسط

ميلانو / إيطاليا / العنوان البريدي:
Alzaia Naviglio Pavese. 120/ 20142 Milano / Italia
العراق / بغداد / شارع المتنبي / محلة حسن باشا / ص.ب 55204.
www.almutawassit.org / info@almutawassit.org

مازن معروف

الجرذان التي لحست أذني بطل الكاراتيه

براءات
المتوسط

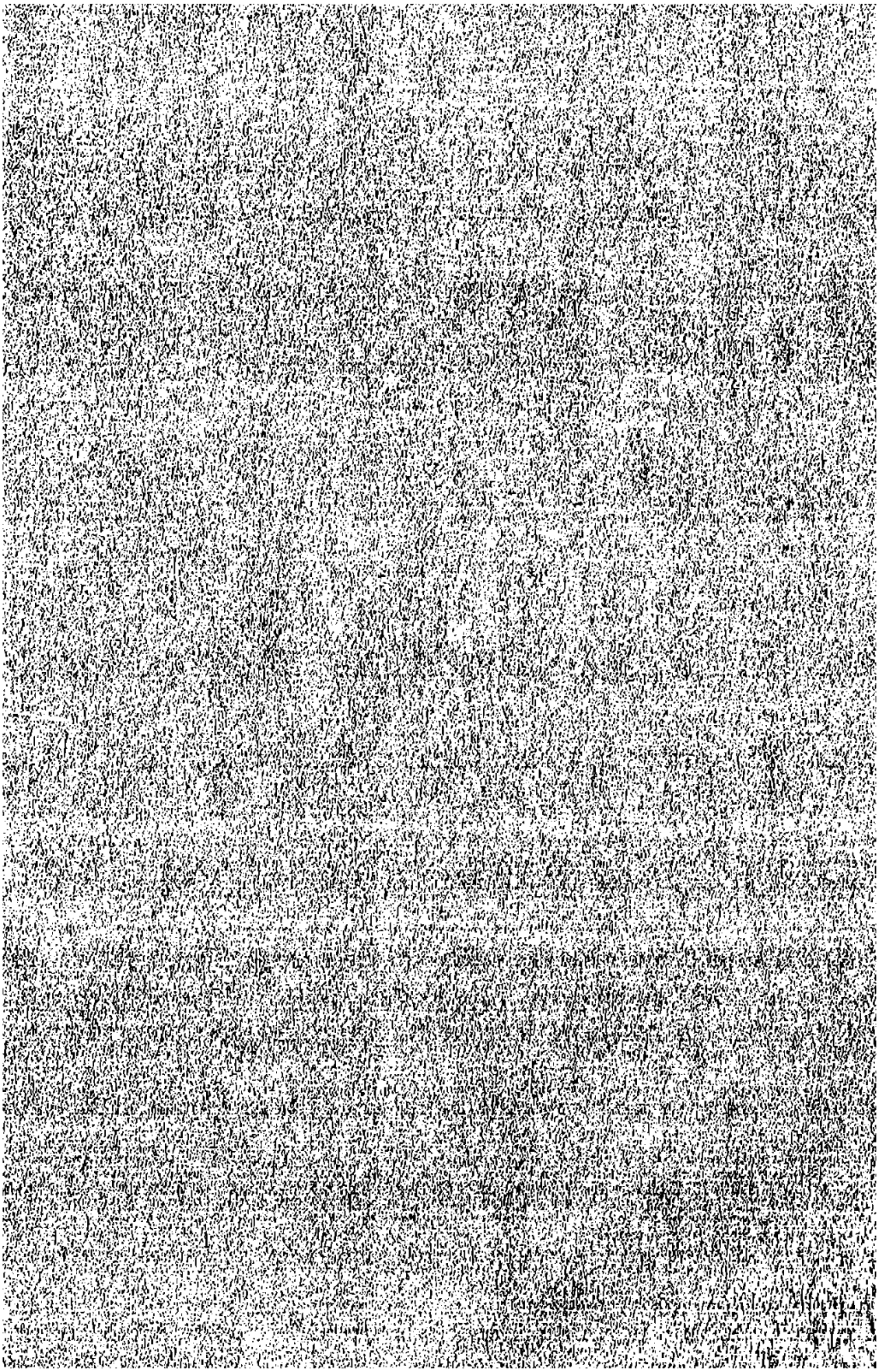

إهداء: إلى نهلة

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://www.facebook.com/BookLover8
https://t.me/BookLover8

سِكند هاند رابت

حكاية سُميَّة البندوق

عندما أخرجَ حاتم التالول الأرنب من القبّعة ميتاً، أدركنا أن شيئاً غير عادي سوف يحدث، سوف يحدث على الفور. وأنتَ لو قلبتَ القبّعة من الداخل، كنتَ ستلاحظ آثار حوافر الأرنب التي علَّمَتْ على نسيجها الورقي، كما لو أنها طُبَّيْعات تنزُّ غراء، وليست حوافر. الأرنب كان يريد أن يلصق نفسه جيداً بالقبّعة، فلا يعود بإمكان حاتم إخراجه منها، إلا بتمزيق القبّعة نفسها. هكذا فكَّر. لكنه في المقابل كان خائفاً، كأنه عرف أن شيئاً مروّعاً يحدث في الخارج، فلم يتمالك نفسه. وفي خضم محاولته اليائسة للالتصاق بالقبّعة تبوَّلَ في داخلها. بأية حال، فقد كان أرنباً عجوزاً وعنيداً، صامتاً دوماً. ليس مثل ذلك الصمت المعتاد للأرانب التي نعرف جميعنا بأنها لا تُصدر صوتاً. بل صمت آخر. صمت يدفعكَ إلى التفكير بأن هذا الأرنب، ليس صامتاً في الحقيقة، إنما لا شيء لديه ليقوله، كما لو أنه مدرك بأن خدعة القبّعة والأرنب هي الكليشيه الأكثر ابتذالاً بين جميع الناس، وأن قبولهم بها حتّى الآن، وعلى امتداد كوكب الأرض كله، هو الدليل الأقوى على محدوديّة الذوق البشري.

الأرنب ابتاعَه حاتم محرَجاً من أحد الحرامية. سُميَّة البندوق. هذا هو اسمه. نسخة خاصة جداً من السرّاقين. والناس تعاطفوا معه بسبب حكايته. يقول إنهم سحلوا أمه أمامه على أحد محاور القتال. كان وقتها يجرها من يدها. وهي مشت ببطء. لفت انتباهه أحد المسلحين. لم يكن مسلحاً بالمعنى الحرفي للكلمة. كان مزوداً فقط بحبل وقنابل يدوية –

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

رمانات. وما ميزه هو أن أصابعه العشر كانت نصف مبتورة. قرّب منه سمية البندوق، وسأله إذا كان بإمكان المسلحين أن يساعدوا والدته في عبور خط التماس بإحدى سياراتهم. وبعد دقائق ألفت العجوز نفسها جالسة على الأرض ومربوطة بمؤخر بيك-أب عسكري معدَّل كان يحمل مضاداً للطائرات عيار ٥٠٠ ملم. لم تكن فاهمة ما يدور حولها. أما سمية البندوق فيقول إنهم بعد أن كسروا أسنانه وحشروا في فمه رمانة يدوية وأحكموا إغلاقه بلف رأسه بحبل، لم يكن أمامه إلا أن يظل صامتاً ولا حتى يجرب أن يتوسلهم بهمهمة. "صاعق الرمانة كان مربوطاً بحبل وصل إلى أصابع المسلح المبتورة". يقول إن ذلك المسلح كان مذهلاً، رغم امتلاكه نصف أصابع، في طريقة استعماله للحبال والرمانات. وقد تحلّق حوله مجموعة من رفاقه يتفرجون عليه مندهشين وهو يفخخ دون خطأ فم سمية البندوق ويربط والدته بال"بيك-أب". كان المسلحون واثقين بأن غارة ستستهدفهم. وكان خط التماس قد أقفل وليس ثمة أحد في المكان، ما عدا المسلحين وسمية البندوق وأمه. لقد ارتكب خطأ فادحاً بأن سألهم مساعدته في نقل أمه بال"بيك-أب". قال له واحد منهم "ستعبر أمك خط التماس وسنضحك وأنتَ نريدك أن تضحك معنا. ها؟".

لم يمضِ وقت طويل حتى ظهرت في السماء مقاتلة سوخوي. فأقلع ثلاثة مسلحين بال"بيك-أب" سعياً لإسقاطها بمضاد الـ٥٠٠ ملم. عبروا خط التماس ذهاباً وإياباً في مسارات دائرية، مشفِّطين وساحلين خلفهم العجوز بقوة محرِّك كادت تفصل فخذيها من جذريهما عن حوضها. لكن السوخوي نجحت بالإفلات. أما العجوز التي كانت تلفظ الآن أنفاسها الأخيرة، فتمزقت ملابسها بالكامل حتى لم يبق عليها إلا لباسها الداخلي المعفر بالأغبرة والتراب. سمية البندوق كان يشاهد كل ذلك وهو يضحك وريقه ومخاطه يسيلان على معدن القنبلة. إلا أن المسلحين لم يكتفوا بذلك، بل طلبوا منه أن ينزع ملابس أمه عن جسمها. وقد فعل ذلك وهو يذرف الدموع والرمانة تسد فمه وكان لا يزال يضحك كحيوان.

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

المسلح ذو الأصابع المبتورة، تقدَّم من سمية البندوق وأخرج الرمانة اليدوية من فمه بعد أن فك الحبل عن وجهه. لكن سمية البندوق ودون أن يطلب أحد منه ذلك، جثا ووضع فمه على بِزِّي أمه الداميين وراح يمصهما. ثدياها المترهلان، كان جلدهما الآن مجلوفاً بسبب احتكاكهما بالتراب والأسفلت باندفاع محرك الـ"بيك-أب". كانا ينزفان. لكن حلمتيهما أكثر ما لفت إنتباه المسلحين. فتحت أحد البزّين كان هناك وشم باسم ليس اسم أبيه. وأخذ المسلحون، الذين كانوا جيراناً عاديين لها قبل بدء الاشتباكات بسنوات، يصفّرون لهذا الاكتشاف. أما سمية البندوق، فلم يكتفِ بذلك، بل إنه بينما كان يرضع الدم الذي سال من بزّي أمه، حاول أن يقضم حلمتيها. قطع الحلمة اليمنى دون أن يتمكن من فصلها بالكامل عن جسد أمه وراح يعلكها. عندما رآه المسلحون يفعل ذلك ابتعدوا عنه. كان يهمهم الآن مثل حيوان أول مرة يمضغ لحماً. وأخذ الآن يرضع بملء إرادته، حتى امتلأت معدته تماماً بالدم. كان مستلقياً وأجهز على حلمتيها اللتين تحولتا إلى قشرتين من الجلد بعد أن مصّ حشوتيهما. كانت همهماته مزيجاً من بكاء وغضب. لكنه بعد أن انتهى من ابتلاع كل الدم الممكن من جسم أمه - وكان لا يزال ممدداً إلى جانبها منهكاً كأنه طفل صغير - راح يتقيأ الدم على دفعات صغيرة. أما المسلحون فابتعدوا عنه بسيارتهم وجعلوه يقطع خطوط التماس دون أن يطلقوا النار عليه، باعتبار أنهم حولوه إلى آكل للحوم بشر وهذا من شأنه إثارة الذعر بين صفوف المحاربين والمدنيين المناوئين لهم وراء خط التماس. من يوم أن بدأ يسرد هذه القصة، صاروا ينادونه سميّة البندوق. سميّة هو اسم أمه، أما البندوق فهي تعني أن أمه ناكها أكثر من رجل عندما حبلت به.

لكن سُميَّة البندوق كان أقل جرأة من أن يتحوّل إلى آكل لحوم بشر. فأصبح سرّاقاً، إنما من طينة خاصّة جداً. فهو لا يطرق بابكَ عارضاً عليكَ أن تشتري غرضاً من مسروقاته وحسب، بل يُطلعكَ أيضاً وبأمانة لافتة، بكل التفاصيل المتعلّقة بالقطعة المسروقة: المحلّ الذي سُرِقَتْ منه،

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

وسعرها الأصلي وما إذا كانت معروضة في الواجهة حين وجدها، أم لا، كما لو أنه مندوب مبيعات. مع فارق وحيد، أنه لن يكون باستطاعتكَ أن ترفض. ذلك أن مظهره يوحي بأن في داخله شيءٌ ما قابل للكسر في أية لحظة. ما يجعلكَ تعتذر فجأة وأنتَ تتحدّث إليه، متذرّعاً مثلاً بنوبة سعال، فتدخل إلى إحدى الغرف؛ لتُهوّي عينيك اللتين دمَّعتا بينما كنتَ تتحدّث إليه للتو. شيء يدعوك للتفكير بأنه لا يسرق إلا من أجل أن يحظى بتلك الدقائق القليلة التي يتبادل فيها الكلام مع أناس يعيشون مع عائلاتهم، مع زوجاتهم وأطفالهم، ليعلن في لحظة ما أمامهم بأنه يعتذر من أمّه.

طيران بقوّة سنّ معدني

بالنسبة لنا نحن الأولاد، فقد كان سمية البندوق الشخصية المفضلة لدينا. أحببناه أكثر من أيّ سافل آخر بين الذين كانوا يعيشون معنا في الحي كـ "الملكوك" مثلاً أو "أبو نملة" أو "اللبّيس". وكانت لحظة الذروة بالنسبة إلينا عندما يسقط سُميَّة البندوق أمامنا على الأرض؛ لأنه أصيب بنوبة صرع فجائية. فيسارع مَن في المكان إلى فتح فمه، فيما نكون ثلاثتنا، أنا وأخي الوسطاني وأخي الأصغر، قد بتنا مقرفصين أمامه، نعاين سنّه الفضي الأمامي، ونلكز بعضنا البعض؛ لكي يقوم واحد منا بمدّ يده وقلعه من وسط أسنانه الباقية. كنا نعتقد بأن سنّه المعدني يتمتّع بقوى سِحْرية، حدّ أنه يمكن لكَ أن تفكّ به قفلاً أو تفتح باباً. أدركنا بأنه لم يكن يأتي بذلك النوع من المسروقات إلا من أجلنا. رغم أنه لم يتبادل يوماً كلمة مع أي منا نحن الأولاد؛ إذ كنا قد بلغنا مستوى من الهزال لم يبلغه أي ولد آخر في الشارع. ومسروقاته لم تكن لتلائم أي مقاس غيرنا. فسُميَّة البندوق لم يهتمّ إلا بسرقة البرّات. برّات الأبطال الخارقين. أبطال أخيار وأبطال أشرار، لكنْ؛ بمقاس ولادي. لكن البرّات كانت دوماً مستعملة. ما جعلنا نعتقد بأن سنّه الفضي لا يعمل إلا لفتح محلات البالة. إلا أننا لم نمانع ارتداء البرّات تلك. ارتديناها بداية آملين بأن يكون سُميَّة البندوق قد حفّ سنّه

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

المضي بها قبل بيعنا إيّاها، من أجل تصبح منيعة وضد الموت. كنا نعتقد بأن المسلّحين على خط التماس لم يُطلقوا سراحه إلا بفضل هذا السّنّ المعدني. هذا ما قاله لنا. بأنه بعد أن تقيّأ دم أمّه، وقف ونظر إلى كل المسلّحين، خاصّة ذلك الرجل بينهم المسلّح بالحبال والرمانّات، وانطلق محلّقاً في الهواء. وطارده ذلك المسلح بالحبال والرمانات وقوّصوا عليه بمضاد الـ٥٠٠ ملم إلا أنه أفلت. ارتدينا البرّات كل الوقت، وتعلقنا بها. بل حتّى لو كانت أمّنا معنا وأرادت غسل البرّات، ما كنا سنقبل بذلك. خصوصاً بعدما اكتشفنا أننا لا نستطيع قتل الأرنب إلا بارتدائها. بل في بعض الأحيان لبسنا البرّات على الـ"زُلط" لأن ذلك سيجعل مفعولها أقوى على أجسامنا، ويُسرِّع من قوانا الخارقة في قتل الأرنب.

لا أحد توقّع أن يكون سُميَّة البندوق يعمل في زرع العبوات الناسفة في أحياء متفرّقة من المدينة. بل كان يجيء لإقناع أبي بالعمل معه. "عندما يجيئون، خَلِّ الأولاد يرتدون البرّات. ستكون تلك إشارة منكَ لنا بأنكَ موافق على العملية. وكل شيء سيمضي على ما يرام. تُهرِّب (الكلسة) وبعد أقل من ساعتين تجد زوجتكَ وأمّ أطفالكَ قد عادت إليكم. هذا وعد!"، كان سُميَّة البندوق يهمس لأبي محاولاً أن يمنع نفسه من البكاء عند لفظه كلمة "أمّ". وهنا يطوّقه أبي بذراعيه مهوّناً عليه بالقول "هيا، عانقني أيها العجوز. افعل ذلك لمرّة واحدة فقط، وسيتغير كل شيء في رأسكَ". كان أبي يعرف أن ماما ماتت. لقد ماتت في المخبز وهي تبتاع بعض الأرغفة لنا. كان المخبز مكتظّاً كالعادة والناس يتدافعون، وأمّي التي كان لها أيضاً جسم نحيل مثلنا، أصابتْها ذبحة قلبية، وماتت على الفور. وأبي رفض أن تمر جنازتها من تحت بيتنا. كما لم يذهب لحضور دفنها أو يسمح لنا بذلك. فقد بقي يخفي الأمر عنا، مستفيداً من هلوسات سُميَّة البندوق التي يقصد بها أن ماما لم تمت، وأنها عشيقة تاجر سيارات يملك معرضاً تحت الأرض، ومعرضه يقع خلف خطوط التماس مباشرة، ويريدون تفجيره.

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

أبي ظل يتظاهر بتصديق ما يقوله سُميَّة البندوق. يردّد أمامه "أجل، هذا صحيح، زوجتي تعيش مع عشيق لها خلف خطوط التماس. الكلبة، أنظر مع أي أطفال تركتني!" كنا نعلم أن أبي يشعر بالريبة حيال سُميَّة البندوق، ولا يثق به. وسمية البندوق يتعامل معنا على أننا أولئك الفقراء وبأن أبي يحتاج المال لأمور أكثر أهمّيّة من تلك البزّات، رشوة المسلّحين مثلاً على خطوط التماس، والإتيان بأمّي إلى البيت. مع ذلك، بقي يأتي، كما لو أنه يريد القول لأبي: محال أن تستطيع التسلّل عبر خطوط التماس دون أن تدفع ثمناً من نوع آخر. أناس كثر حاولوا قبلكَ، وأخفقوا.

كيف تعرَّف حاتم التالول بالأرنب

أبي لم يأخذ بكلام سُميَّة البندوق في البداية عن أولئك الذين سيجيئون. لكن أيدٍ صارت تطرق الباب فجأة، لم تكن تشبه أسلوب سُميَّة البندوق في طرقه لأبواب الشقق في البناية والبنايات المجاورة. كان الطرق يستمرّ أحياناً لربع ساعة. وصار الأمر يحدث كل يوم تقريباً في منتصف الليل. طَرْق هادئ وحازم وبطيء. هذا إلى أن تغيّر شيء ما في رأس أبي، ليجد أن لا مفرّ أمامه من أن يومئ لنا بارتداء بزّات الأبطال الخارقين، اللحظة التي انتظرناها طويلاً. كلّما بدأت تلك اليد المجهولة بطرق الباب، صار أبي يفيّقنا، ويحضر لنا البزّات، ونحن نفعل ذلك بلمح البصر، كما لو أننا نؤدّي إحدى ألعاب الخفّة فيما لا يتوقّف عن التمتمة، وهو يتنفس بصعوبة "إنهم هم، لقد أتوا من أجلي، من أجل أن أنفّذ العملية، وأعيد أمّكم إليكم". ونحن نلبس البزّات، ثمّ نقعد بصمت على الأرض قبالة الباب، وعيوننا تنظر إلى الشمعة الوحيدة التي تضوّئ الغرفة وأبي الخائف والمستغرب لمَ نحن سعداء إلى هذه الدرجة. أبي أحبّ ماما كثيراً. كل الناس تعرف حكايتهما، وذلك الحزن الذي غلّف حياتهما مع ولادة كل واحد منا. لكن أحداً لم يتوقّع بأنه، بعد مرور ستة أشهر على وفاتها، سيتراجع عن تسليمه بالأمر؛ ليوهم نفسه بأنها فعلاً لم تمت.

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

في زيارته الأخيرة للبناية، لم يكن مع سُميَّة البندوق أية برّة. كان معه فقط الأرنب، وكان مظهره أكثر بؤساً من أي وقت مضى. لم يطرق أيّ باب في البناية سوى باب حاتم. حاتم كان رجلاً كبيراً في السّنّ. الوحيد في البناية الذي لا أولاد لديه. سُميَّة البندوق سلّمه الأرنب، ثمّ عانقه. بعدها لم يعد إلى حيّنا إطلاقاً. تلاشى كل أثر له. وفي الوقت نفسه لم تعد تلك اليد المجهولة تطرق بابنا في الليل. لكن أبي بقي يسمع الأصوات. ليلاً نهاراً. يحدث أحياناً أن نكون جالسين في الغرفة، نلعب بإبر الخياطة أو صحون البلاستيك، فنرى أبي نهض فجأة، وأشار إلينا بارتداء برّات الأبطال الخارقين رغم أن أحداً لا يكون يطرق الباب. صار أبي الوحيد الذي يسمع مثل تلك الأصوات. ونحن اعتدنا مع الوقت على مرضه ذلك. لم نمانع إن لم يشفَ، فارتداء البرّات هو كل ما له قيمة بالنسبة إلينا. كنا نعتقد أن الأبطال الخارقين لم يصبحوا أبطالاً خارقين إلا لأنهم ارتدوا برّاتهم فترة طويلة من الزمن، منذ أن كانوا صغاراً. كثلاثة أولاد أخوة، كنا متعاهدين على أشياء كثيرة، كلها رهن بإبقاء البرّات لصيقة بأجسادنا. من بينها أننا حين سنستيقظ ذات يوم من نومنا لنجد أنفسنا وقد أصبحنا فعلاً أبطالاً خارقين، سنشفي بقوانا الخارقة أبي، ونعكس الوقت، ونرجع ماما من المخبز قبل أن تُصاب بالذبحة القلبية، وسنحتفل بكل أعياد ميلادنا السابقة في حفلة كبيرة على سطح القمر.

حاتم قال لنا إن سُميَّة البندوق وجد الأرنب في محل بالة أيضاً. "second hand rabbit"، هذا ما كانت الورقة الصغيرة المعلّقة في طوق رقبته القاتل للقمل تقول. "سكند هاند رابت". ككل الملابس والأحذية وبرّات الأبطال الخارقين التي في المحل. لا بد أنه كان لعائلة ما، ثمّ انتهى به الأمر في مشحوناً في صناديق ثياب البالة. أما الفتاة الصغيرة التي كان الأرنب لها؛ فقد تمنَّتْ وهي تودّعه وتعانقه بأن يصبح أرنباً سِحْرياً؛ كي لا يتعرّض للأذى خلال رحلته. والأرنب سمع كلمتها، وأصبح أرنباً سِحْرياً. فهو لو لم يصبح سِحْرياً، لقضى اختناقاً بين الثياب المستعملة. غير أن سِحْريّته

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

لم تحل دون إصابته بأذى في رئتيه بسبب الرطوبة العالية في صناديق البالة.

مع أن حاتم ارتاب من الأرنب في البداية إلا أن الأرنب كان أفضل ما حدث لحاتم منذ انتهاء عمله على سيارة الإسعاف. كان يعمل سوّاقاً قبل أن يأتي إلى البناية. وهو لفرط ما نقل أشخاصاً متضرّرين من حروق في سيارته، ساءت حالته النفسية، فتوقف عضوه عن الانتصاب. وهو بأية حال لم يكن راغباً في الزواج. وكان يتمرّن كل يوم على أن يكون إنساناً صالحاً. لكنه في مرحلة لاحقة من عمله، صارت تنتابه نوبات صراخ في أثناء القيادة، يقول فيها "أشعر بأن ظهري ينبت فيه جناحان صغيران. يشقّان الجلد ويخرجان. والأمر مؤلم، رغم إحساسي، كلّما حدث ذلك، بأنني في طريقي لأن أصبح ملاكاً". ولاحقاً أصبح يوقف سيارة الإسعاف فجأة قائلاً إنه بحاجة لأن يحكَّ جناحيه. يركنها ويطلب من أحد المسعفين أن يحكّ له تلك النقطة في ظهره، مكان الجناحين؛ لأن أصابعه لا تصل إلى تلك المنطقة في ظهره. لاحقاً، طُردَ بسبب ذلك. لكنه ظل عاجزاً عن الانتصاب، وبقينا نسمعه في البناية يصرخ في بعض الأحيان. كان بحاجة ماسة لأحد؛ كي يحكّ له جناحيه، فيطرق باب أحد الجيران طالباً منه ذلك، كما لو أنه مدمن دواء سعلة مخدّر.

حاتم في ذلك اليوم كان واقفاً عند باب بيته في الطابق الأرضي عندما دخل سُميَّة البندوق البناية جارّاً الأرنب بحبل. استوقفه حاتم، وطلب منه أن يحكّ له جناحيه اللذين في ظهره. وسُميَّة البندوق فعل ذلك مستعملاً أحد مخالب الأرنب الناعمة. ثمّ تبادلا حديثاً قصيراً حول الجناحين. "جناحان؟ كم حجمهما؟"، سأله سُميَّة البندوق. وحاتم أخبره بأنهما لا يزالان بحجم ثألولتين. "ما يعني أنك لن تصير ملاكاً إلا بعد أن تكون قد مت"، علق البندوق. ثم أضاف "لم لا تشتري هذا الأرنب؟. سيساعدكَ على الحكّ وتحفيز جناحيكَ على النمو. هو ليس كأيّ أرنب آخر. هذا الأرنب بإمكانه التحكّم بنبضات قلبه. لقد توقّف طيلة رحلة شحنه عن التنفّس". كان سُميَّة البندوق يتحدّث عن الأرنب بإحساس بالغ. كما لو أنه يبيع تذكاراً

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

شخصياً من تذكارات ابنته الحميمة. وفكّر حاتم بأنه حتّى إن لم يكن الأرنب سِحْرياً بالفعل كما يقول الحرامي، فإن بإمكانه أن يقطع أحد قوائمه ويربطه بعصا لحكّ ظهره بها.

سُميَّة البندوق كان قد أتى بالأرنب إلى البناية جارّاً إياه بحبل ربطه بمؤخّرة درّاجته النارية. واستطاع الأرنب، رغم الرطوبة التي ملأت رئتيه، أن يركض طوال تلك المسافة التي تقارب الثلاثة أو أربعة كيلومترات، من محل البالة حتّى البناية. بل أن يجاري حتّى سرعة الدرّاجة دون أن يستسلم لحظة، أو يغيِّر اتجاهه. حاتم قال "عندما استلمتُه من يده، كان الأرنب يلهث، ولسانه ممدوداً إلى الأمام. لم يكن متضايقاً أو خائفاً. فقط كان يلهث كأي حيوان صغير، يكون قد قطع هكذا مسافة بسرعة درّاجة بخارية". إلا أن الأرنب في لحظة ما بصق بلغماً. وترك ذلك بقعة على قميص حاتم. عرفَ فوراً بأنه إذا لم يكن أرنباً سِحْرياً، فلن يمكنه الإفادة إلا من قوائمه، أما أكله؛ فلا. فمن الواضح أنه أرنب مريض بدرجة كبيرة. إلا أن سُميَّة البندوق في تلك اللحظة أخرج مسدّساً "أو ربمّا سكّيناً كبيراً، أنا لم أنظر إلى ذلك الشيء في يده. عانقتُه فقط، ودفعت له نقوداً وانصرف". نسأل حاتم كثيراً عن آخر مرّة جاء فيها سُميَّة البندوق الحرامي إلى البناية، وحاتم دائماً يقول هذا الكلام. في تلك الليلة، مرض الأرنب كثيراً. بصق الكثير من البلغم، يقول حاتم، "لا أعلم مذا دهاني، إلا أنني شعرتُ بأن الأرنب، وهو يبصق ذلك البلغم، يطلب مني أن أصنع له قبّعة ورقية، بسرعة وقبل فوات الأوان. وهذا ما فعلتُهُ. تناولتُ مظروفاً كبيراً، كان فيه صور إشعاعية قديمة لي، ولففتُها بسرعة صانعاً منها قبّعة مروّسة. ثمّ وضعتُها على الأرض، وبالفعل اقترب الأرنب المريض، ودخلها، ثمّ مكث فيها إلى أن لفظ أنفاسه الأخيرة. أما حاتم؛ فلم يجرؤ حتّى على النظر إلى الحيوان الذي ذوى أمامه أو التأكُّدِ ما إذا كان ميتاً أم لا. بل استلقى على سريره ونام. في الصباح التالي، عندما أخرج الأرنب النافق من القبّعة لوضعه في كيس الزبالة، وجده، وللمفاجأة، على قيد الحياة.

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

الأرنب يخفي شيئاً ما في فمه

عندما أرسلَنا حاتم أول مرّة إلى البورة لقتل الأرنب، لم نشأ أن نقتله قبل تفحّصه جيداً. كنا مرتدين برّات الأبطال الخارقين. وكان ذلك في الصباح الباكر. أخذنا الأرنب في كرتونة شوكولاتة صغيرة. وظل الأرنب هادئاً. فكّرنا بأننا نريد أن نجري عليه التجارب ما دمنا سنقتله. رغم أننا لم نكن نفقه شيئاً في علوم الأرانب. كما لم نكن نعلم أنه أرنب سِحْري في الحقيقة. حاتم قال "اقتلوه بطريقة ما، ثمّ أرجعوه لي. لا تجعلوه يتألم". لم يشأ حاتم الذهاب معنا. وأنتَ عموماً لن تجد في العالم إلا القليل من الأشخاص الذين يملكون شجاعة كافية لقتل أرنب". لكننا لم نعلم بأنه سيكون أرنباً بقدرات خارقة. عندما وصلنا إلى البورة، ثبّتناه داخل قطعة كاتوشوك لدولاب سيارة. قطعة الكاوتشوك بدت أشبه بسرير معقوف، يمكن هَدْهَدَتُهُ إلى الأمام وإلى الخلف. جعلنا الأرنب في وضعية استلقاء على ظهره، وثبّتناه بأكفّنا، ثمّ رحنا نتفحّصه. الأرنب ظل هادئاً، لكنه كان ينظر إلينا بعينين فزعتين كلّما قرّبنا من فمه. كما لو أنه يخفي شيئاً ما. أو هذا ما فهمناه حين صاح أخي الأصغر "إنه يخفي شيئاً ما في فمه" الأمر الذي زاد من إصرارنا على فَتْح ذلك الفم الصغير، والعبث به. أما الأرنب؛ فتصرّف كما لو أنه يرى ثلاثة أبطال خارقين يضمرون له شراً كبيراً. راح يحرّك رأسه يميناً وشمالاً محاولاً الفكاك من قطعة الكاوتشوك. وعندما تمكّنّا في النهاية من فتح فمه، لم يكن ثمّة ما يخفيه الأرنب، عدا أن واحداً من سنّيه الأماميتين كان مَرْخوّاً. لم أر في حياتي أو أسمع عن أرنب يكون سنّه الأمامي رخواً. لكن أرنبنا كان على هذه الحال. لا أعرف لماذا فعلنا ذلك، لكننا استنتجنا أن هذا السّنّ المَرخوّ هو ما يحاول الأرنب إخفاءه. فمددتُ يدي إلى السّنّ، وخلعتُهُ. نزف الأرنب قليلاً، وقد يكون تألم نفسياً ربمّا لأن كل الأرانب بحاجة إلى سِنَّين أماميتين؛ لكي تستطيع قضم الجزرة. لكنْ؛ لم يكن في نيّتنا إطعام الأرنب جزر قبل قتله. فبعد قليل، سنرفعه من داخل قطعة الكاوتشوك، ونخنقه فيما سنُّه المفقود لا يزال ينزف. هذه هي النية.

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

ونحن خنقناه بأيدينا الستة معاً حتّى نفق. أعدنا جثّته إلى علبة الشوكولاتة، وتسلّمَه حاتم منا وأسقَطَه في القبّعة؛ لأن الأرنب بحاجة لأن يموت وقتاً كافياً قبل أن يخرج على قيد الحياة في العرض المسائي. أو هذا ما كان يعتقده في البداية.

أول عرض أقامه حاتم للأرنب وقبّعة الورق كان في بيتنا. بيتنا في الطابق السادس من البناية. كان ذلك بعد أيام قليلة فقط على شراء حاتم الأرنب من سُميَّة البندوق الحرامي. والمناسبة: عيد ميلاد أبي. فكّرنا في أن نسلّيه. لم يكن حاتم قد أفشى بعد بسرّ أرنبه السِّحْري لأحد. جاء إلى بيتنا في المساء ومعه القبّعة الورقية التي تشبه رأس صاروخ. قال إن عرض الأرنب والقبّعة سيُخرج أبي ممّا هو فيه أبي. لن يكون عرضاً مُسلّياً وحسب، بل سيَشفيه. الأرنب كان عائشاً بالطبع. أما نحن؛ فكنا مرتدين طبعاً برّات الأبطال الخارقين، وأوقَفَنا حاتم على أننا ثلاثة مساعدين له. أما أبي؛ فجلس على كرسي قبالتنا. لقد كان المتفرّج الوحيد. أيضاً وضعنا إِسْكَمْلَة صغيرة لزوم العرض. قمنا أولاً بعرض الأرنب حياً أمام أبي، وجعلناه يلكزه بإصبعه، وأبي لكز الأرنب وابتسم. بعدها، وبإشارة من حاتم، ثبَّتُ أنا وأخي الوسطاني الأرنبَ على الإِسْكَمْلة وقام أخي الأصغر بخنقه. ويمكنك أن تتخيّل المشهد. ثلاثة أطفال ببرّات أبطال خارقين يخنقون أرنباً مسالماً، وله سنّ واحدة، أمام أبيهم. وعندما حاول أبي الذي أربكه المشهد منعنا من المضي في خنق الأرنب، تصدّى له حاتم. لم تكن تلك أفضل هدية يقدّمها أطفال لأبيهم في عيد ميلاده. بل إن الأمر جعله يشعر بالريبة، كما لو أننا نبلّغه رسالة مشفّرة من سُميَّة البندوق. الأمر الذي أثار فزعه وراح ينقل عينيه بيننا وبين الباب. أما الخطوة الأخيرة في العرض؛ فكانت أن نضع الأرنب داخل القبّعة الورقية. وهذا ما فعلناه. كان من الواضح لأبي أن الأرنب الآن ميت. ولخمس دقائق بقينا نحمل القبّعة ثلاثتنا قبل أن يُدخِلَ حاتم يده فيها، ويُخرج الأرنب حياً.

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

جناح ملاك احتياطي

حاتم كان لديه كل الأسباب لكي يقوم بعرض حيلة الأرنب والقبّعة. فبعد أن انتهى من عرضه الأول أمام أبي، شعر بحكاك حارق في ظهره حكاك من نوع آخر. من ذلك النوع الذي قد تشعر به لأن جناحيك نموا قليلاً للتو. خلع قميصه، وطلب من أخي الوسطاني الذي لديه الأصابع الأنعم بيننا، أن يهرشَ له ظهره بقوائم الأرنب. كان حاتم يشعر بأن جناحيه قد أصبحا أكبر حجماً بعد انتهاء العرض. مجرّد شعور. وعندما طلب منا التأكد من الأمر هززْنَا رؤوسنا كأننا نقول "ما تشعر به صحيح"، رغم أن الجناحين لم يكونا زادا ملمتراً واحداً عن حجم أية ثألولة صغيرة في العالم. الأنكى أننا ادّعينا بأننا نرى حتّى جناحاً ثالثاً ينبت قريباً جداً من الجناحين، وأن هذا الجناح هو الجناح الاحتياطي، ولكي نبرهن لحاتم ذلك، أمسك كل منا بإصبعيه، واحداً من الأجنحة الثلاثة. استنتج حاتم أن الجناح الاحتياطي سيعمل فقط في حال أُصيب أحد الجناحين بعطب ما. لكنه طلب ألا نفشي بأمر أجنحته لأحد. صار يغطّيها بضمادة صغيرة مخافة أن يقوم أحد باقتلاعهما بحركة غادرة من ظهره. "ماذا لو عاد سُميَّة البندوق الحرامي ليلاً، وجرّهما بشفرة؟! سيكون هناك عشرات الأشخاص الذين يتمنّون شراء جناحي ملاك. ولن يمض وقت طويل قبل أن تجدوهما مزروعين في جسد آخر، أو ربمّا موضوعين داخل مرطبان في محلول كيميائي لتهريبهما". كان نادماً لأنه أخبر سُميَّة البندوق بالأمر، وطلب منا أن نُروّج بأن في ظهره ثآليل. لهذا لم يمانع أن يكون اسمه في الحي "حاتم التالول". وكان يعتقد أن تجارة الأعضاء قد تشمل قريباً أجنحة الملائكة أيضاً. لكنه قبل أن يغطّيهما بضمادة كان يطلب منا بالدَوْر أن نغلق بشفاهنا على حمامته، وننفخ فيها ثم نشفط. فذلك بنظره سيجعل جناحيه ينتفخان بعض الشيء. ونحن كنا نفعل ما يطلبه حاتم؛ لأنه دائماً ما يشعر بأن قوّة جناحيه في هذه الحالة لا تعادل فقط قوة نُقّيْفة زلزلغت. ولكي يُسرِّع من نموّ جناحيه، قرر أنَّه سيقدّم عرضاً في كل بيت من بيوت البناية السبعة والخمسين. أربعة

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

عروض أو خمسة على الأكثر في كل يوم. بدأنا من الطوابق السفلية أولاً، وقلنا نصعد طابقاً طابقاً. ولم نسنتثنِ بيتنا رغم أن أبي كان قد رأى العرض من قبل. ثمّ انتقلنا إلى البنايات المجاورة.

المشنقة

حاتم التالول لم يكن يهمه سوى قياس طول جناحيه بعد كل عرض، وحكّهما بقائمة الأرنب. كنا نحمل له المرآة من الخلف؛ ليتفرج ويُقدِّر طولهما. أما نحن؛ فوجدنا أننا نستمتع أكثر فأكثر بقتل الأرنب أكثر حتّى من استمتاعنا بخروجه حياً من القبّعة. كنا بداية نقدّم الأرنب ميتاً إلى الناس. لكنهم لم يعودوا يقبلون بأن نحضر الأرنب ميتاً إلى العرض. أرادوا رؤيته يلفظ أنفاسه الأخيرة أمام أعينهم. فتوقّفنا عن اصطحابه إلى البورة صباحاً لقتله. وبدأنا نبتكر طرقاً مختلفة لهذه الغاية. مرّة نخنقه بمغيطة قصيرة جداً وسميكة وفي وسطها كرافات "بابيون"، نضع المغيطة في رقبة الأرنب ونُحكم شدّها، وأمام الجميع يختنق ببطء. ومرة نضع رأسه في كيس شفّاف. هذا إلى أن توصّلنا إلى شنقه بحبل يويو. المشنقة كانت أفضل ما ابتكرناه. بل أصبح شنق الأرنب في كثير من الأحيان الجزء المفضّل للأولاد والعائلات. فأضفنا إلى العرض مشنقة بدعامة خشبية. ننصب المشنقة أمام الجميع، نحمل الأرنب في الهواء. واحد منا يلفّ الحبل حول رقبته، ثمّ نفلته ببطء؛ ليتدلّى في الهواء إلى أن يلفظ أنفاسه الأخيرة، وتهمد حركته بالكامل. صحيح أن ذلك كان يزعج بعضاً من أفراد العائلة الذين يذهبون إلى المطبخ أو الحمام أو إحدى الغرف الأخرى ممتنعين عن متابعة العرض، إلا أن مَن كان يبقى، ومعظمهم من الأولاد، كان يستمتع، بل وأحياناً يصفّق للأرنب كونه بعد شنقه، ورؤيته يموت، قد خرج حياً من القبّعة. حتّى إن أخي الأصغر تأثّر وسأل إن كان بإمكاننا أن نضع في القبّعة ماما بعد أن يقتلها أبي حين يعود بها إلى البيت من وراء خطوط التماس. لم يكن أخي الأصغر يأمل من الحيلة أن تعود ماما على قيد الحياة، بل أن

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

تصبح صغيرة بحجم الأرنب عند خروجها من القبّعة، فنشنقها مرّة أخرى، ونُسقِّطها في قبّعة أصغر، ونُكرّر الأمر عشر مرّات أو أكثر. كل مرّة نضع ماما في قبّعة أصغر من القبّعة التي وضعناها فيها قبلها. إلى أن تصبحَ ماما بالغة الصغر، بل لها أرجل أرفع بكثير من سيقان الجنود البلاستيكيين، برفع خيوط عنكبوت. ولفرط ما هي صغيرة، ماما، لا يكون بإمكانها زحزحة جندي بلاستيكي واحد. نضعها وسط دائرة من الجنود البلاستيكيين على الكومودينة، فلا تهرب، ولا ترى عشيقها تاجر السيارات مجدّداً.

أما أبي؛ فكان مع كل عرض بالأرنب تزداد حاله سوءاً. مزَّقَ صور ماما الفوتوغرافية قطعاً صغيرة، ووضعها في كيس وأكلها على مدى أيام. كان يبدأ نهاره بتناولها في الصباح، يقول "الكلبة لها طعم البسكويت المملح". يمضغ القطع الصغيرة بعد أن يُغمِّسها بالشاي الذي يضع فيه الكثير من السّكّر لتحليتها، لكن طعمها يظلّ مالحاً في جوفه. وذلك لأنه كان لا يزال يحبّها. لكنه فعل ذلك لأنه لم يرد أن نعثر على أي مَلْمَح لها. وكانت خطّته نافعة. فنحن بعد فترة قصيرة نسينا كل ما يتعلق بملامح وجهها. لدرجة أننا لم نعد نراها في أي من أحلامنا. في الصباح كنا نسأل بعضنا أحياناً عمّ حلمنا به في الليلة السابقة. ونجد أن أحداً منّا لم يحلم بماما. وكنا نقول ذلك لأبي كي نُطمئنه. "بابا، ولا أحد منّا حلم في الليل بماما"، نقول له. ثمّ إننا لم نخلع برّات الأبطال الخارقين، ولم نعد نستحمّ إلا قليلاً. أصبحتْ رائحتنا لا تُطاق. ولم يرغب أحد من أولاد البناية بوجودنا مع حاتم عند القيام بحيلة الأرنب والقبّعة. لكن حاتم لم يكن بمقدوره التخلّي عنا؛ إذ كان يعتقد بأن أسلوبنا في قتل الأرنب جزء من نجاح الخدعة. وخشي من أنه إذا أوكَلَ قتل الأرنب لأولاد آخرين، فقد لا ينجح الأمر على الإطلاق. كان مضطراً لأن يجعلنا نرافقه رغم رائحتنا الكريهة التي كنا ندّعي بأنها نابعة من جلد الأرنب لفرط ما مات، والناس تقبلوا الموضوع طمعاً برؤية الأرنب يموت شنقاً، ثمّ يعود إلى الحياة بعد خروجه من القبّعة.

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

إلا أن حاتم التالول لم يكن يُطعم الأرنب جيداً. ظن بما أنه سِحْري، فإنه لا يحتاج أن يأكل. وفي تلك الليلة، وبينما كان مستلقياً على بطنه، نائماً، قضم الأرنب ثآليله. كنا في ذلك المساء قد شنقنا الأرنب ست مرّات. الأمر الذي أرهق حاتم، وأثار نرفزة حيواننا الخارق. لكننا لم نكن نفكّر بالأرنب، براحته أو إنزعاجه. لم نكن نفكّر إلا بابتكار طرق جديدة لقتله. فالمشنقة قد أصبحت مجرّد عرض باهت ومتوقّع. لكن الأرنب في تلك الليلة، نهض من القبّعة، كان يتضوّر جوعاً وأخذ يُدَوِّر في أرجاء الغرفة على طعام. جزرة أو حتّى كسرة خبز أو أي نبتة صغيرة في جدران البيت. وعندما لم يجد شيئاً، قفز إلى السرير، وأخذ يتشمّم ظهر حاتم التالول. هذا قبل أن يُجهز على جناحيه الثألولين والجناح الاحتياطي أيضاً بعضة واحدة. اقتلعها من جذورها. الأرجح أن الأرنب العجوز تعمَّد ذلك. وبالنظر إلى أنه لم يكن لديه سوى سنّ واحد فوقاني، فلا بد أنه ركّز ملياً لوضع الجناحين الثألولين والجناح الإحتياطي بين السّنّ الفوقاني والسّنّ الذي يقع تحته مباشرة. بعضّة واحدة متمكّنة أنهى الأرنب آمال حاتم بأن يصير ملاكاً. حاتم استيقظ على ألم رهيب في ظهره، وهو يصرخ فزِعاً ويندب. لكن الأرنب كان قد عاد بنطّة واحدة إلى القبّعة؛ ليتلذذ في عتمتها الورقية بعلكِ أجنحة حاتم الثلاثة.

بعد فقدانه ثآليله الثلاثة، صار حاتم شخصاً آخر. عدائي. لم يعد يثق بنا. قال إننا حرّضنا الأرنب للقيام بذلك. وهدَّد باستبدالنا أولاداً آخرين. رجوناه ألا يفعل ذلك. وقلنا له بطريقتنا إننا مستعدّون لفعل كل ما يطلبه بالأرنب. كنا نريد أن نبرهن له بأننا غير منحازين للأرنب. ولم نكن نكذب. نحن لم نكن منحازين للأرنب، بل للطريقة التي نقتله بها. وهذا الأمر الذي رفع من مكانتنا في الشارع. فباقي الاولاد عدّونا سَحَرَة. وكانوا يطلبون منا أن نعلّمهم كل ما نعرفه عن الموت خصوصاً بعد كل حادثة قنص يسمعون بها أو ضحايا قذيفة في أخبار التلفزيون.

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

صرنا منذ تلك الحادثة نشنق الأرنب مرّة أولى، ثمّ مرة ثانية قبل أن نُدخله في القبّعة. وأحياناً بعد شنقه وقتله، نمارس عليه الجَلْدَ بأسلاك كهربائية رفيعة. حاتم التالول هو مَن طلب منا ذلك. وكان ذلك يجعل الأرنب يشعر بألم شديد عندما يخرج حياً من القبّعة. يكون جسمه مزرقّاً. وفي بعض الأحيان يتشبّث بالقبّعة لأنه لا يرغب بالخروج. الأمر الذي جعلنا نبدو في العروض، وببرّاتنا تلك، أبطالاً أشرار. الأسوأ من ذلك أن الأرنب الذي بدا في هزاله نسخة حيوانية عنا، صار أحياناً يتبوّل تحته في أثناء الشنق. يتبوّل على مرأى من الجميع. كان تبوُّله الطريقة الوحيدة أمامه للتعبير عن حزنه. الكل شعر بذلك حتّى إن الأطفال الأقل شجاعة كانوا يفركون أعينهم، ويجهشون بالبكاء. فكان حاتم التالول يطلب إخراجهم على الفور. نحن لم نكن نقدّم الماء للأرنب إلا مرّة واحدة في اليوم، إلا أنه لم يكن يتبوّل إلا خلال شنقه. بول الأرنب فاقم من سوء مزاج حاتم التالول. أما شعوره بالحكاك في جناحيه المفقودين؛ فجعله يشعر بالإحباط، ذلك أنه كان أقرب إلى الذكرى منه إلى الحكاك.

بعد أيام وجدنا، ونحن نشطّف الأرنب من رائحة البول، أن له جناحين صغيرين. هما أيضاً كانا متوّرمين من شدّة جَلْدنا له بالأسلاك الكهربائية. جناحان من الفرو مسطّحان، ليسا كتلك الثآليل التي نبتت في ظهر حاتم. أما قوّتهما؛ فقد ظهرت بوضوح في قفزاته؛ إذ بات بإمكان الأرنب الآن أن ينطّ ولا يسقط مباشرة إذا ما رغب بذلك. كما لو أنه أرنب ينطّ على سطح القمر. كان جناحاه يرفرفان بالسّرّ من تحت فروته. فيهبط ببطء، ويجعلنا ذلك نشعر كأننا في لقطة مُبطّأة في شريط فيديو. والأرنب استفاد من جناحيه خلال تعليقه في المشنقة. كانا يرفرف بهما، فيبقى معلّقاً في الهواء؛ بحيث لا يخنقه الحبل تماماً. أصبح يخدعنا. يتظاهر بأنه ميت. لا أعرف كيف توصّل إلى معرفة ذلك. لكنْ؛ على ما يبدو فإنه كان فاهماً ما يحدث حواليه. صرنا عندما نُدخِله في القبّعة يكون على قيد الحياة، لا

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

ميتاً. وعندما نخرجه يكون طبعاً على قيد الحياة. منذ أن صار له جناحا ملاك، لم يعد هناك أي سِحْر في المسألة.

لم نكن نرى أبي كثيراً في تلك الفترة. كنا ننام ونستيقظ ببرّات الأبطال الخارقين، أما هو؛ فكان يظل مُفتّحاً طوال الليل، يرسم خطوطاً معقوفة بعينيه على السقف، ويسبّ ماما يقول عنها قصصاً، مثل أنها كانت كلبة وخائنة، وأن عشيقها جازف بحياته، وكان يجيء من خلف خطوط التماس؛ ليدسّ لها الرسائل من تحت الباب. ثمّ فجأة ينهض وهو يرتجف، ينهض ويهزّ أبداننا واحداً واحداً متوسّلاً إيّانا أن نفيق. يقول إن ثمّة أيد تطرق الباب، لقد أتوا إليه لتنفيذ العملية. إلا أن أحداً منا لم يكن قادراً على الاستيقاظ من نومه. فالعروض بالأرنب كانت منهكة لنا، كما أننا لم نكن نأكل ما يكفينا من الطعام. ولو أفاق أحد منا، فكان يتجاهل أبي، يتظاهر بأنه لا يزال نائماً. هذا ما اتفقنا عليه.

لكن أبي لم يكذب في كل ما يقوله. أو هذا ما فهمناه من التفجير. كنا وقتها نعمل عرضاً في الطابق الثامن، في بيت علاء النُص الذي دفع لنا قبل العرض بقشيشاً، سلبه من شنطة والده الصيرفي. كانت تلك المرّة الأولى التي نتقاضى فيها نقوداً. فنحن لا نتحصّل بعد كل عرض سوى على سندويشة أو كيس فستق صغير أو برتقالة. حاولنا جاهدين سحب الأرنب من القبّعة، إلا أنه عضّ ورق القبّعة من الداخل، وأخذ يئن بنبرة كنواح الحمائم، قالت عنها أمّ علاء إنها نذير شؤم. أما حاتم التالول؛ فخشي أن يتمزّق ورق القبّعة الذي لا يقل سِحْرية عن الأرنب برأيه، لذلك رفض إخراج الأرنب عنوة. تحايلنا عليه بجزرة وخبزة وورقة هندباء، لكنْ؛ دون فائدة. كانت عيناه مفتوحتين على وسعهما، وبصق جرعتين صغيرتين من بلغم أبيض اللون، كان له رائحة كريهة. أخذ حاتم التالول يُقنع المتفرجين بأن الأرنب حي، فطُفنا بالقبّعة عليهم واحداً واحداً "إنه يعضّ القبّعة من هنا. انظروا. هذا يعني بأنه حي"، كان يقول. لكن علاء النُص اتّهمنا بالغش،

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

وتحدّانا بأن نخرج الأرنب حياً من القبّعة. لم نكن نعلم بأن الأرنب مصاب بنوبة صرع، وأنني شخصياً لم يكن ينبغي أن أجلده بأسلاك الكهرباء في رأسه قبل العرض. لم ندرِ ماذا نفعل. علاء النُص طلب منا إعادة البقشيش له. وكان ذلك بمثابة انتزاع غرامات السعادة من أكبادنا. كنا نبحث عن مخرج من هذه الورطة عندما سمعنا جلبة في الطابق السادس من البناية، وسمعنا بعض الجيران يقولون إن أبي أصيب في انفجار. ترك الجميع العرض، ونزلوا إلى بيتنا في الطابق السادس. كان أبي ممدّداً على الكنبة، ساقاه ممغطتان بالحروق يئنّ ويتقلّب. أحاط به مسلّحون وطبيب مسلّح أيضاً، لم نرهم من قبل. طلب المسلّحون من الجميع أن يغادروا البيت. أول مَن خرج كان حاتم التالول الذي خشي أن يستحوذ المسلّحون على أرنبه. فيما بقينا نحن الثلاثة إلى جانب أبي.

أبي يذهب لإعادة ماما إلى البيت

لم نكن نعلم أن ارتداءنا برّات الأبطال الخارقين لأسبوعين متتاليين، هو إشارة على قبول أبي تهريب العبوة الناسفة عبر نقطة الجيش. لقد فكّر بالموضوع لأيام دون أن يقول لنا كلمة حول سرّ هذه البرّات. كان يرى أطفاله الثلاثة فرحين بها، ويقول في نفسه "سآمرهم بخلعها غداً. ما يزال لديّ الوقت". مثلاً، كان بإمكان أبي أن يطلب منا خلع البرّات في اليوم الثالث عشر، ويعطّل العملية، إلا أن الأوان كان قد فات. فنحن كنا نسمعه في الليل يتمتم قائلاً إن أمي تقيم في بيت عشيقها خلف خطوط التماس. وكان صوته يخرج شبيهاً إلى حدّ مذهل بصوت سُميَّة البندوق. حدّ أننا صدّقنا بأن أبي مسكون بقرين سُميَّة البندوق نفسه. وعندما بحنا بالأمر لحاتم التالول، قال إنه سيعالج أبي بالأرنب. لكن أبي باغتنا جميعاً. لم نعلم أنه كان قد حصل على العبوة قبل أيام من وقوع الانفجار. وفي الوقت الذي كنا نعمل فيه العرض عند علاء النُص، كان أبي يسير حاملاً حقيبة ظهر ومرتدياً طاقية قشّ وقميصاً وشورتاً وحفاية إصبع. كان متنكّراً بهيئة

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

صحافي ومعه بطاقة مزوّرة، ولم يكن يفكّر بشيء إلا الإتيان بأمي بعد تجاوز نقطة الجيش. كان يفترض بالمسلّحين الذين أرسلوا أبي أن يكونوا على اتفاق مع الجندي الذي سيكون على الحاجز. إلا أن الجندي نقلوه في اليوم نفسه إلى نقطة أخرى، ووضعوا مكانه جندياً آخر، فتى متحمّس في الثامنة عشرة من عمره، طلب من أبي التوقّف والاقتراب لتفتيش الحقيبة. الجندي كان ذلك هو يومه الأول على الحاجز. وأبي وضع الحقيبة على الأرض، وفتحها قائلاً في نفسه "لو انفجرت، فسأفقد ساقيَّ في أسوأ الأحوال، وليكن هذا عقاباً للعاهرة التي تركتْني وتركت أولادها. سأجعلها تفني حياتها في الاعتناء بي". لكن الجندي انحنى فوق القنبلة مباشرة، وما إن عبث بها حتّى انفجرت. حروق أبي لم يكن سببها شظايا العبوة، بل أشلاء الجندي التي عندما تطايرت والتصقت بساقيه كانت ملتهبةً. ليس كل أشلاء الجندي، بل أصابع يديه تحديداً. التحمتْ بساقي أبي، وذاب الجلد بالجلد كأنها تورّمات دودية، بل لم يكن بالإمكان تمييزها إلا إذا دقّقتَ النظر. عَدَدْنَاها، كانت بالفعل عشر أصابع، وتوزّعت على ساقي أبي الاثنتين، كما لو أنها تمسك بهما، وتجرّهما إلى الموت. كان أبي مرعوباً وهو ينظر إلى تلك الأصابع النحيلة. منظرها أثار قرفنا، أما طبيب المسلّحين؛ لم يتمكّن من قشطها. ذكّرتْنا بالأصابع التي سمعنا أنها التحمتْ بقضبان معدنية انفجرت في سور مدرسة على خطّ تماس آخر. وهي الحادثة التي جعلت أبي يكفّ عن إرسالنا إلى المدرسة الخاصة بمن هم في مثل حالنا.

بعد رحيل المسلّحين وطبيبهم، بقينا إلى جوار أبي. كان مخدّراً، وغطّ في نوم عميق. لكنه كان يئنّ ويذرف الدموع، ويبتسم بشفتين مرتعشتين، كأنها دموع آتية من أحلامه. شعرنا لأول مرّة بأننا نحبّه. لكن أياً منا لم يجرؤ على عناقه. غطّينا ساقيه بشرشف، ثمّ شرشف آخر؛ كي نخفي ملامح الأصابع على ساقيه المحترقتين. واتفقنا في اليوم التالي أن نجري عرضاً أخيراً بالأرنب له. كما كان العرض الأول في بيتنا سيكون كذلك العرض الأخير. أردنا من العرض أن يكون تسلية لأبي. فمخابرات الجيش ستعثر

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

عليه عاجلاً أم آجلاً، والأفضل للمسلّحين أن يسلّموه بأنفسهم. هذا ما سمعناهم يقولونه.

في الصباح، عندما أفاق أبي، وجد أمامه أبناءه الثلاثة ببزّات الأبطال الخارقين كالعادة، البزّات التي هي في الحقيقة البزّة نفسها، لكنْ؛ بثلاثة مقاسات مختلفة، وكان شعرنا مبلولاً وممشّطاً، وقد ارتدى حاتم التالول بذلته الوحيدة السوداء، كأي ساحر محترف، فيما وقف الأرنب على الإِسْكَمْلَة هادئاً والقبّعة الورق إلى جانبه. كل شيء بدا مرتّباً، أما الأرنب؛ فكان نظيفاً تماماً من أية رائحة بول أو بلغم. كان أبي يحاول جاهداً أن يكتم أنينه، وكانت حبّات العَرَق تنمو شيئاً فشيئاً، وتسحل على جبينه. قال لنا شيئاً واحداً ليمازحنا "ألا يوجد لديكم مثل هذه القبّعة التي عندما ندخل جسمنا فيها ونخرجه نجد أننا تخلّصنا من أشلاء الناس الآخرين الملتصقة بنا؟". لكننا لم نعر كلام أبي اهتماماً كافياً. حملْنا القبّعة، وقمْنا بشنق الأرنب بالمشنقة. شنقناه مرّة واحدة. هذه المرّة لم يرفرف بجناحيه، ولم يسقط بهدوء، وإنما بلعط في الهواء قبل أن ينكمش على نفسه كما لو أنه لم يشنق من قبل. بعد أن تأكدنا بأنه مات، أدخلْناه في القبّعة، وانتظرْنا بعض الوقت. حملتُ أنا القبّعة من الأعلى، فيما أمسكها أخي الوسطاني وأخي الأصغر من الأسفل. مدّ حاتم التالول يده إلى القبّعة وعندما أخرج الأرنب منها، كان الأرنب ميتاً. أعضاؤه مَرخوّة بالكامل. رغم أن الأرنب قاوم يد عادل، وهي داخل القبّعة، وتشبث بنسيج القبعة الورقي، وبوّل تحته. خوَّفَنا ذلك كثيراً، وشعرنا بأن شيئاً سيئاً سوف يحدث. نفض حاتم التالول الأرنب، ونحن مسحنا وجهه بالماء، فركنا أذنيه وقرصنا فخذه، إلا أنه لم يحرّك ساكناً. كان نافقاً. قال حاتم "فلنحاول مرّة أخرى"، وفيما نحن نحاول إدخال الأرنب مرّة جديدة في القبّعة، طَرقتْ قبضةٌ الباب.. كانت قبضة صارمة. نقزنا، وبدأنا نرتجف. أخي الأصغر ترك الإِسْكَمْلَة، وذهب ليُمسك بيد أبي الذي كان يئنّ ويرتجف مثلنا، وقد سال لعاب من فمه. أخرجنا أنا وأخي الوسطاني الأرنب من القبّعة، لكنْ؛ دون فائدة.

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

إنه ميت. فيما تحوّلت القبضة إلى قبضات وركلات وضربات بمؤخّر بنادق الكالاشنيكوف. ثمّ أعدنا الكرّة مرّتين متتاليتين، ونحن نبكي ونصرخ وننظر باتجاه الباب. لقد تحوّل عرض الأرنب إلى محاولة لإنقاذ أبي. لكنْ؛ دون جدوى. خلع المسلّحون الباب، وأخذوا أبي لتسليمه إلى الجيش. سحلوه من السرير. ونزلوا بسرعة البرق، فيما وقفنا في أماكننا مشدوهين من هول الصدمة. أما حاتم التالول؛ فكان لا يزال يحاول إنعاش الأرنب. ثمّ فجأة قال "كان عليّ أن أنيك أمّكم عندما توسّلتْني في غرفتي. أولاد القحبة". وأخذ يجلدنا بالأسلاك الكهربائية. أما الجيران فكانوا متحلقين خارج الباب، وعندما حاولنا الهرب سدّوا الطريق أمامنا. فاتجهنا إلى الشبّاك، وقفزنا. ستة طوابق، سقطناها في الهواء معاً، مرتدين برّات الأبطال الخارقين. لكنْ؛ قبل ارتطام أجسامنا بالأرض وتناثر أشلائنا على بلاط الرصيف، رأيناها، ماما. كانت آتية أخيراً لأخذنا للعيش معها، وفي يدها أرغفة الخبز. ونحن لم نملك في تلك اللحظة إلا أن نبتسم لها.

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

أمعاء

يمكن للمرء أن يُهندس كذبة ما. أن يرسم تخطيطاً لكذبة. مع هذا، فإن الكذب لا يخضع للرياضيات. إذا جمعتَ كذبة وكذبة لا تحصل على كذبتين، بل على كذبة. كذبة واحدة. الأمر عينه بالنسبة لكذبة زائد كذبة زائد كذبة. دوماً كذبة واحدة. ثمّ إن الكذب لا يمكنكَ أن تضع بجانبه إشارة زائد أو ناقص. لا يمكن لك أن تقول هذه كذبة موجبة، وترفقها بعلامة (+) بجانبها، وتلك كذبة سالبة (-). كذلك، ليس هناك كذبة محايدة. الكذب كوشم على شريان القلب. لا يمكنك أن تكذب وتنسلخ عن كذبتك. إنه الأمر الوحيد الذي لا يصاب باليُتم. حتّى بعد موت صاحب الكذبة، فإنك ستجد مَن يقول عنه "السافل، لقد كذب عليّ مرّة". ثمّ هناك مَن ستروق له الكذبة، فيتبنّاها. قد تكون الكذبة التي حصلتَ عليها بجمع كذبتين أكثر ذكاء من الكذبتين نفسيهما (أ) و(ب). لكن هذا أيضاً يعتمد على طبيعة الكذبتين اللتين استعملتهما، وما الذي تحويانه. مثلاً، من غير المجدي وصل كذبة بكذبة أخرى لا تجانس بينهما. عليك في هذه الحالة الاستعانة بكذبة ثالثة كقناة، كشريط لاصق. وفي بعض الحالات أن تعمل بعقلية جرّاح، يُجري عملية ترقيع. وصل ميّتين بجلد. لأن الكذبة حتّى تعمل، يجب أن تكون حيّة. كذبة ميتة لا تساوي شيئاً. لا تساوي حتّى صفراً. لا أقول إن كذبة ميتة لا تعني شيئاً. الكذبة كذبة. وما بعد الكذبة ليس مثل ما قبلها. لذلك، الأفضل أن تكون كاذباً جيداً على أن تكون كاذباً سيئاً. أعرف أشخاصاً يسيل الكذب من فمهم مثلما يسيل اللعاب. أنا مثلاً. لكي أكون كاتباً جيداً أتمرّن كل يوم على الكذب. أكتب يومين في الأسبوع، وأقرأ يوماً واحداً، أما

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

الأيام الأربعة المتبقّية؛ فأقضي معظم الوقت خلالها في الكذب. ألتقي أناساً، ثمّ أكذب عليهم. لم أكن أكذب في صغري. أما المَدرسة؛ فخلصت إلى أنني سأصبح كيميائياً. علومٌ كالكيمياء والفيزياء بائسة. إنها خالية من الكذب. عكس المواد الأخرى كالتاريخ والجغرافيا. مواد كعلم الاجتماع وعلم النفس، تبدو لي مشيّدة على نظريات عاطفية. أساسها عاطفي، وُلدت كشعور، لكنها أُحيطت بمنطق، فأصبحت شعوراً منطقياً، ومن ثمّ عُدّت حقيقة. لم تمرّ بالمرحلة المسمّاة: كَذِب.

الأسبوع الفائت التقيتُ امرأة عجوز في السوبرماركت. كانت مسمّرة أمام ستاند للكُتُب المهترئة. تلك التي يمكن للمرء الحصول عليها بسعر شبه مجاني. تُقَلِّب في الكُتُب، وتدوّن الملاحظات، أيّ الأفكار المسروقة. وإلى جانبها حفيدتها المصابة بمتلازمة داون، والتي كانت جالسة على كرسي مدولب، له حجم عربات الأطفال. العجوز قالت بنبرة مفخّمة، وهي تشد على أصابعي "لقد عرفتُكَ. أنتَ كاتب. إنني أحاول كتابة قصّة لحفيدتي. لا أريد شراء كتاب جاهز لها. بل أن أؤلّف لها حكاية، تستذكرني بها طوال حياتها. قصّة تكون بسيطة، قصّة تسخر من القسوة التي نضطر إليها أحياناً. حفيدتي لا تبتسم أبداً. جسمها لا يعرف بعد أن بإمكانه أن يجسّد ابتسامة. أحياناً أجد صعوبة في تحمّل الأمر. هل يمكنك مساعدتي في ذلك؟".

أربكني أن ترمي امرأة عجوز في وجهي كل هذه الأشياء، خصوصاً وأنني لم ألتق بها قبلاً. لكني شعرتُ بأن عليّ التصرف بسرعة، خصوصاً وأن هناك آثار صفعة على جانب من وجه الطفلة. ما قالتْه المرأة العجوز يعني أنها تضطر أحياناً لصفع جسد حفيدتها، لا حفيدتها نفسها.

"تقريباً، سيدتي.."، جاوبتُ بصوت خفيض، له طبقة الكاونترباص، مطأطئاً رأسي كما لو أنني آخذ الإذن من الطفلة قبل أن أبتسم. أما المرأة العجوز؛ فلم يكن واضحاً بالنسبة لها إذا ما كان قد قلتُه للتو هو إجابة عن عبارتها "أنت كاتب" أو "هل يمكنك مساعدتي في ذلك؟"، ما جعلها تفكّر

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

الأمر قليلاً، وأتاح لي ذلك بأن أتفحّص، وعن كَثَب، العلبة التي ... ها في يدها. "مينتوكس"، دواء للحدّ من آلام الغازات المعوية. مناسب جداً، قلتُ!

اقنعْ الناس أولاً بتواضعك، بخلفيّتكَ الاجتماعية البائسة، ثمّ دع كذبتك تنفجر كحزام ناسف وتقذف ببقاياك في كل الأنحاء، فلا يبقى منك سوى ضرطة صغيرة، ترفرف فوق رؤوسهم كتذكار. ضرطة؟ تبدو كلمة في محلّها أيضاً.

"أقصد أن أقول إن تخصّصي ليس القِصّة بالتحديد، وإنما الكيمياء".

"أنت كيميائي إذن؟ مثير للاهتمام. وكيف انتقلتَ من الكيمياء إلى الكتابة؟".

"لم أنتقل سيدتي. لا أزال كيميائياً. حتّى عندما أكتب فأنا لا أفكر في الكتابة نفسها وإنما في نوع من الكيمياء. لكني هذه الأيام أعمل في البيت. أجري دراسة من نوع خاصّ. دراسة لم يكن لها أن تكون ممكنة دون اللجوء إلى القسوة التي نضطر إليها أحياناً. هل أتابع؟"

"إذا كنتَ ترغب!".

"إنها دراسة عن أبي وأمّي. أقصد عن الجزء الذي تبقّى لي منهما. حسناً، وأرجو ألا تتأثّري كثيراً بما سأقول، أو اعذريني على قسوتي. لكن أبي وأمّي، فُقِدا في انفجارٍ. ولم يبق من جثتيهما سوى قطعتي أمعاء، عنونتُهما (أ) و(ب)".

"هذا رهيب!".

"لا يمكنكِ أن تتخيّلي! كانا في ذلك اليوم واقفَين عند محطة الباص القريبة من بيتنا. أبي الذي أُصيب في الحرب، كان جالساً في كرسي مدولب. كهذا الذي تجلس عليه حفيدتكِ. ما نوعه؟ "إكسل"؟ الطراز نفسه إذن. لكن "بيغ سايز" أو "أولد سايز". لكن أبي كان له حجم حفيدتكِ. منذ أُصيب وجسده يضمر. ما عدا الحدبة التي في ظهره، فإنها استمرّت في النمو. كان يشعر أحياناً بخوفي من حدبته، خصوصاً عندما يتشاجر مع

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

أمّي، ويتمكن من جذبها من على كرسيه، وصفعها بكفّه القوية على وجهها. تبدو حدبته عندها أكثر رعباً. فيبتسم وهو ينظر إليّ، ثمّ يمدّ يده وراء ظهره، إلى حدبته؛ ليخرج سمكة ذهبية، أراها تبلعط في يده قائلاً "هذه من كيس الأسماك الذي أحمله على ظهري"، وبعد أن أنعم النظر في السمكة، التي ليست إلا رسمة على إصبعين من أصابعه، يعيدها إلى مكانها. إلا أن ذلك كان أحياناً يفاقم من خوفي. أقول، ماذا لو انفجر أبي، أو طعنته أمّي في حدبة ظهره؟! أين ستذهب كل تلك الأسماك؟! كنتُ أهيّئ نفسي دوماً لهذا الاحتمال. لذلك، كنتُ أرتدي حذائي كلّما بدأ شجارهما متحضّراً لجمع السمكات، إذا ما تبعثرت على الأرض، والانطلاق بها إلى البحر. لكن أبي عندما هرم، وتقلّص جسده، لم يعد يمدّ يده على أمّي. أما أمّي؛ فتوقّفت عن الاهتمام به انتقاماً منه على ما فعله بها في الأيام السابقة. حتّى إن أبي كان يبقى يومين في كرسيه المدولب، فيما الجزء السفلي من جسمه تفوح منه رائحة الخراء. يا للقسوة التي نضطر إليها أحياناً، يا سيدتي! لكنهما في ذلك اليوم، كانا ينتظران الباص الذي يذهب من الكورنيش إلى جامعتي. كان يوم تخرّجي. وهما أرادا أن يقوما بالرحلة التي اعتدتُ القيام بها من بيتنا إلى الجامعة، كَلَفتةٍ لطيفة تجاهي؛ إذ لم يفعلا ذلك من قبل. لكنهما طوال انتظارهما الباص، لم يتبادلا كلمة واحدة. كان كل منهما متوتّراً، حتّى بمشاهدة شريط كاميرات المراقبة المشوّش الصورة، بإمكان المرء أن يلاحظ ذلك. أن يحدس أن ثمّة شجاراً قد وقع بينهما قبل التوجّه إلى محطّة الباصات. أنا أعرف أنهما لم يعودا الشابّين اللذين أُغرما ببعضهما في الشاحنة التي هرَّبتْهما في أثناء الحصار قبل ستة وثلاثين عاماً من الآن. لم تعد أمّي تريد الاعتناء بأبي. لقد قرّرت هجره في أشدّ لحظات حاجته إليها. تجادلا طويلاً، لكن أمّي لم تستل أي سكين وتطعن أبي في حدبته. كانت على ثقة بأن إجراءات الطلاق ستتمّ لصالحها. واتفقا على أن يتطلّقا في اليوم التالي. "لكن غداً هو يوم تخرّجي!"، قلتُ منهياً المسألة. وانسحبتُ إلى غرفتي. أدرك كل منهما في تلك اللحظة بأنه

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

لم يكترث لي كما يجب. رحلتهما إلى حفل تخرّجي كان من المفترض أن يكون آخر ما سيفعلانه سوياً قبل الذهاب صباح اليوم التالي إلى المحكمة لإتمام الإجراءات. وعلى أية حال، هما لم يبديا أي اهتمام بي على الإطلاق خلال طفولتي. لكنْ؛ كان لي صديق. كنا نسمّيه "النهّاش". كانت أسنانه مروّسة كنوع من الأسماك. أتذكّر أنني صفعتُه مرّة محاولاً تقليد ما يفعله الآخرون به. لكن ذلك آلمني. في تلك الليلة لم أنم، أحسستُ كما لو أنني ابتعلتُ كرة صوف. وعندما أخذتُه جانباً، واعتذرتُ منه في اليوم التالي، لم يفهم ما قلتُه. فقرّرت أن أؤلّف حكاية تجعل الآخرين يفكّرون مرّتين قبل مَدّ أيديهم عليه. لجأتُ إلى أسنانه لأروّج بأنني رأيتُه يقضم شفرة حلاقة، وأنه كاد يقتلني بينما كنت أعتذر منه. أنا مَن اخترع هذه الكذبة.

لكن "النهّاش" كان رجلاً وديعاً. لو عاش لكان في مثل سنّكِ تقريباً، سيدتي. قال لي إنه سيقدّم لي هدية، ستكون هدية تخرّجي من الجامعة، وسأستذكره بها طوال حياتي. هذا ما فهمتُه من كلماته المتقطّعة والقليلة التي قالها لي. هو أيضاً لم يكن يبتسم. وكنتُ أنا نفسي أجد صعوبة في تحمّل الأمر. لقد عرفتُه جيداً، بل إن كل مَن كان طفلاً وعاش في حيّنا أيام الحرب كان يعرفه. كنا أطفالاً، بينما هو رجل بالغ. لكنه تصرّف دوماً مثلنا، كطفل. وسبب ذلك إصابته بمتلازمة داون هو الآخر. كان أحمر الشعر. وكل جسمه يرتجف ما إن تبدأ مدفعية هاوزر النمساوية والمكلفة الدفاع عن حيّنا بإطلاق قذائفها. فنتحلّق حوله في الملجأ، ونبدأ نقول له إنه بطل خارق. صحيح أننا كنا نخاف صوت المدفعية أيضاً، إلا أننا كنا نتجاهل خوفنا في كل مرّة، محاولين إقناعه بحكايات كلها كذب بكذب بأن الأبطال الخارقين يمكن أن يكونوا خارقين ومصابين أيضاً بمتلازمة داون، وإننا نعرف ثلاثة أخوة هكذا. حتّى ولو قفزوا من شبّاك الطابق السادس، فإن مكروهاً لن يحدث لهم. ولا خدش. ولو سقطت قذيفة بين أقدامهم، يكون بإمكانهم وبأجزاء من الثانية، الاختفاء من المكان قبل أن تنفجر. في الحي، كانوا يقولون إنني أشبه "النهّاش". رغم أنه لم يكن من أوجه شبه

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

بيننا. إلا أن الجميع كان يشعر بأننا شبيهان دون أن يتمكّن من تفسير الأمر أو إقناعي به. في البداية كنتُ أتضايق، إلا أنني مع الوقت لم يعد لديّ مشكلة. وهذا لأن "النهّاش" كان رجلاً طيّباً، وصديقاً حقيقياً رغم الفارق العمري الكبير بيننا. كان يأتي إلى بيتي. ويجلس إلى جانبي، ويراقبني وأنا أدرس الكيمياء، بينما أبي وأمّي يتشاجران كالعادة.

في ذلك اليوم، يوم تخرّجي، اقترب "النهّاش" من أبي وأمّي المنتظرين في المحطة وصول الباص الذي سوف يقلّهما لحضور حفل تخرجي. كان يحمل حقيبة مدرسية على ظهره. حقيبتي التي استعملتُها في المرحلة الإبتدائية. قبيل الانفجار، أخذ جسمه يرتجف، كما لو أنه يهيّئ نفسه للاختفاء، أما الحقيبة؛ فكانت محشوة بشفرات الحلاقة إضافة إلى المواد المتفجّرة. لقد كانت تلك هدية "النهّاش" لي. قنبلة نجح في صنعها بنفسه. وشفرات الحلاقة تطايرت مشتعلة، ومزّقت الضحايا - قصدي الضحيّتين الوحيدتَين - نتفاً صغيرة، قبل أن يتسنّى لهما حتّى أن يسلّما عليه. وهذا لأنني أريد أن أصدّق بأن "النهّاش" قد تمكّن من الاختفاء بأجزاء من الثانية قبيل حدوث الانفجار. المثير أن الحقيبة لم تسترعِ انتباه أبي أو أمّي. الأمر الذي آلمني، وأنا أشاهد كل ذلك. لم أذهب إلى حفل تخرّجي في الجامعة ذلك اليوم، بل تعقّبتُ بكل بساطة الـ"نهّاش". تواريتُ في مكان قريب. لكني لم أحاول ثَنْيه عن فعلته. لقد انتظرتُ فقط حدوث الأمر. أما أبي وأمّي؛ فلم يتبقّ من جسديهما بعد الانفجار إلا قطعتي أمعاء، تمكّنتُ من الحصول عليهما. ذلك قاس، أليس كذلك؟ ثلاثون سنتمتراً تقريباً من أمعاء كل منهما. كل قطعة محفوظة الآن في أنبوب طبّيّ منفصل عن الآخر. ورغم أن والدي قضيا، إلا أنني نجحتُ في إبقاء قطعتي أمعائهما على قيد الحياة. ستسألينني كيف يمكنني أن أكون متأكداً من أن قطعتي الأمعاء على قيد الحياة؟ وسأقول: لأنهما لا تزالان تُطلقان الغازات. الضراط. ضراط أبي وضراط أمّي. يشعرني هذا بأنني لا أزال طفلاً. كما لو أنني محوط بوالدين حنونَين. الوالدان اللذان، كأيّ والدين، لا يجدان

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

حرجاً في أن يضرطا وقتما كان أمام أطفالهما، لكنهما لا يعودان يفعلان ذلك عندما يكبر هؤلاء الأطفال، احتراماً لهم. لا يمكنك أن تتخيّلي مقدار سعادتي، وأنا أراقب الغازات تتدحرج عبر قطعتي الأمعاء، وتنفذ إلى هواء الغرفة. إن ذلك يوفّر لي دافعاً قوياً للكتابة".

يبدو التأثّر على وجه المرأة العجوز، إلا أنها تتجنّب التطرّق إلى أية نقطة في القصّة التي رويتُها للتو. أشعر كما لو أنها تفكّر هي الأخرى بالاستعانة بي للاحتفاظ بقطعة من أمعائها لحفيدتها. فهذا أفضل من تأليف قصّة على ما يبدو. تقول "هذه لفتة جميلة منكَ. رغم أنني أجد الأمر قاسياً عليكَ. أخمّن إذن أن لديكَ أيضاً إلماماً بالطّبّ".

"ليس بالضبط. لكن ما أقوم به يصبّ في اهتمامات الطّبّ. فقد كان موضوع رسالة تخرُّجي".

"وما هو؟"

"الضراط، سيدتي. الضراط. هذا ما أحاول قوله لكِ منذ البداية. أعرف أنكِ تجدين الأمر مثيراً للاستغراب. لكنها الحقيقة. اهتمامي الأول هو الضراط وسُبُل إبقائه في الجسم والإفادة منه، بدلاً من تبديده في الهواء. هل تعلمين كم شخصاً في هذا العالم ضرط منذ بدأنا حديثنا؟! بل هل كنتِ تتوقّعين بأن يكون الضراط محور تعارفنا إنسانياً؟ لكن الأمر حدث. ولا بد أن يكون له علاقة بكِ أيضاً".

تُخبرني المرأة العجوز، وهي على وشك البكاء، بأن لديها ثلاثة أولاد ذُكُور وبنت، وأن كلاً منهم يقيم في قارّة بعيدة عن الأخرى، لكن أحداً منهم لا يبادر بالسؤال عنها. إنها مُهمَلة، هي وهذه الحفيدة. تصارع مع آلام بطنها. وتدرك بأنها لن تُشفى قريباً، ثمّ تختتم كلامها بالسؤال "هل يمكنكَ أن تفعل ذلك مع أناس آخرين؟ أن تجعل أمعاءهم تتنفّس؟". يروق لي قولها "أمعاءهم تتنفّس". "بالتأكيد! يمكنني أن أحصل حتّى على أربع قطع من

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

الحبل المعوي الواحد، وأن أشحنها إلى أربع قارّات مختلفة". وحين تحاول العجوز عناقي، أنطلق في الكلام؛ كي لا أسمح لها بالسيطرة على مشاعري.

"أرجو أن تسمحي لي بأن أفسّر لكِ. فأنا لا آتي إلى السوبرماركت إلا لأتبادل الأحاديث مع الناس. والجميع يعرف ما سوف أقوله لكِ. لقد تحدّثتُ به مراراً. لكني سأسهب معكِ. وسأبوح لكِ بأشياء، لم أعلن عنها من قبل. وهذا ربمّا لأن شيئاً ما فيكِ يذكّرني بأمّي. صحيح أنها أصغر منكِ سناً، لكنها كانت لتصبح شبيهة بك لو قُدّر لها أن تبلغ هذه السّنّ. أرجو أن يبقى كل شيء سرّاً بيننا. دعيني أبدأ من الفكرة المبتذلة القائلة – عذراً لكنني أجدها مبتذلة كوني أكرّرها للمرّة الثانية منذ بداية حديثنا - بأن ملايين الأمتار المكعّبة من الضراط تملأ الهواء يومياً. تنطلق كمناطيد أرسلتها الأمعاء للتأثير في طباع الناس. لكنْ؛ تعالي نفكّر معاً بالأمر. هل تعلمين أن الأمعاء تلعب دوراً كبيراً في حياتنا الخارجية؟ في تحديد أمزجتنا وقراراتنا وسلوكنا؟ أعتقد أحياناً أنها تدير الحياة من داخل بطوننا. بل تلعب دوراً محورياً في الاقتصاد. أمعاؤنا، سيدتي. واسمحي لي بأن أقول إننا أنتِ وأنا، عملياً، لسنا سوى لفافتي أمعاء تتبادلان حديثاً متكافئاً أمام سوبرماركت. أليس هذا ساحراً؟ المؤسف أنه ليس هناك يوم عالمي للضراط. مع أن الناس يتبادلون الضراط بالأنوف. يضرط شخص ما، وما الذي يحدث بعد ذلك؟ تمتزج الضرطة بخليط الهواء الذي يستنشقه شخص آخر هنا أو على بعد خمسين متراً أو سبعة آلاف كيلومتر من هنا. بل إن الأشخاص الذين يقعون في الحبّ، هم أشخاص تبادلوا ضراط بعضهم البعض دون أن يدركوا. ثمّ يأتي مَن يكتب في تحليل أكثر علاقات الحبّ نجاحاً. يكتب عن الطاقة الخفية المؤلّفة بينهما، لكن كل هذا هراء. فكل ما يحدث هو أن فلاناً (أ) وفلانة (ب) يكونان قد استنشاقا في السابق ضراط بعضهما عشوائياً عبر نسمة هواء، دون أن يدركا ذلك. وعندما يلتقيان يشعران أن ثمّة رابطاً خفياً بينهما. كل ما في الأمر أن وعيهما مرتبط بذكرى ضرطة. أليس ذلك ساحراً؟ أحياناً، أظن أن الأمر له علاقة مباشرة بمزاج البشر الذي بات متشابهاً.

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

"لكن أريد القول بأن..."

"لكِ أن تتخيّلي سعادة ضرطة، وهي تغادر جسداً يعاني في تلك اللحظة خطباً ما. عليّ الاعتراف - وأنا أفعل ذلك لأول مرّة - فلسبب ما، أشعر براحة تامّة بالحديث معكِ، سيدتي. أقول لكِ سرّاً، لا أحد يعرفه هنا. لقد أمضيتُ وقتاً طويلاً من حياتي أضرط. حتّى إنني احتسبتُ الفترة التي استغرقتْني في الضراط. لقد ضرطتُ لسبعة وخمسين يوماً وتسع ساعات وأربع وأربعين دقيقة وثانيتين بالضبط. في الملاجئ. في الباصات العامّة. في أوتوكارات المدرسة. ضرطتُ في امتحان الدخول إلى كل مدرسة من المدارس الثلاث التي انتسبتُ إليها. ضرطتُ وأنا أقرأ الآداب العالمية. ضرطتُ بين الأقارب، وفي العزاءات، وكنتُ أضرط كلّما تشاجر أبي مع أمّي. وكان ذلك كفيلاً، صدّقيني، بأن يقصّ شجارهما، وينهي المسألة. ضرطتُ في حفلات التعارف. ضرطتُ وأنا أنتقي ثياباً جديدة للمناسبات. وفي المطاعم التي ارتدتُها لأول مرّة، ضرطتُ. كما دائماً أضرط في أول يوم عمل لي. بل كنتُ أضرط، وأنا ألمّ الجرحى خلال تطوّعي لشهرين في الدفاع المَدَني. كما ضرطتُ كلّما رأيتُ حلماً جميلاً. كنتُ أضرط تلقائياً لإخراج نفسي من الحلم. إنها الوسيلة الأكثر نجاعة، سيدتي. والضراط قد يكون الإشارة الأكثر قوة على المذهب الواقعي. ثمّ ضرطت في أعياد الميلاد كما في أول لقاء غرامي. كما ضرطتُ أنا و"النهّاش" معاً عدّة مرّات. بعد أن علّمتُه ذلك - وقد يكون ضرط قبل أن يفجّر نفسه، لكني ضرطتُ بالفعل حينها. بل إنني ضرطتُ الآن وأنا أتحدّث معكِ. مثلما ضرطتُ وأنا أدفع ثمن أغراضي للموظّفة، الفتاة الجميلة، على الكاشير. أظن أن الضراط آلية دفاع ضدّ الألم والذكريات معاً. حتّى إنه كان سيحلّ العديد من المشاكل لو أن الناس قاموا به في الوقت المناسب. سأعطيكِ مثالاً. أنتِ تتابعين الأخبار، أليس كذلك؟ حسناً. تسمعين طبعاً عن الرجال الذين يتعرّضون للتعذيب في أقبية السجون. تخيّلي لو أن أحد هؤلاء الرجال، كلّما جرّوه إلى غرفة التعذيب، راح يضراط، تخيّلي لو أنه لا يفعل شيئاً سوى الضراط،

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

بينما يستعدّ الجنود المكلّفون تعذيبه، بضربه، سيكون ذلك غاية في الإزعاج لهم، أليس كذلك؟ ومع الوقت سيُقلعون عن سوقه للتعذيب. من المؤسف أن الأمعاء لا تتصرّف في الوقت المناسب أحياناً. لذلك، يتمحور اهتمامي الآن في سبل إبقاء الضراط في الجسم، والإفادة منه في اللحظة الحاسمة كآلية دفاع، بدلاً من تبديده في الهواء".

"كم هذا مؤثّر!".

"أجل، سيدتي. أترين؟ أهمّيّة الضراط قد تبدو كذباً بكذب. لكنه حقيقة دامغة محوطة بالمنطق والعلوم. وبعض شركات الدواء تعمل الآن على تصنيع كبسولات من الضراط المُصنَّع مخبرياً. ضراط دون رائحة. كبسولات صغيرة تُوضع في الأنف مباشرة. صغيرة كحبّات الدواء. يمكن استنشاقها. ثمّ يعالجها الجسم، ويطلقها في روائح مختلفة، بحسب مزاج الشخص، وما يشعر به. ما لم أقله لكِ - سيدتي - هو أن رائحة ضراط أبي وأمّي، ليست أبداً كما قد يتخيّل المرء. ليست أبداً على شاكلة شجاراتهما. أمعاؤهما تبثّ رائحة جميلة، جميلة جداً. كعلبتي معطّر هواء. تملأ جميع أنحاء غرفتي. حتّى إنني أحياناً أفتح خزانة الملابس عمداً كلّما انطلقت ضرطة من أيّ من الأنبوبين. أشعر أن هذا تعبير عن سعادتهما ببقائي على قيد الحياة، أو تعبير وافٍ جداً عن ندمهما".

"هل ما تقوله حقّاً صحيح؟"، تسألُ المرأة العجوز.

"كم أنا آسفٌ، يا سيدتي، كم أنا آسف لمضيي كل هذا الوقت في هذا الحديث معكِ"، أقول مُبيِّناً شعوراً بالحسرة على وجهي. أُخرج من جيبي علبة الـ"مينتوكس" التي تمكّنتُ من خطفها من يد المرأة العجوز، وأنا أروي لها قصة أبي وأمّي و"النهّاش". أدسّ حبةً منها في فمي، وأمشي آملاً بأن أكون تحسّنتُ قبل الوصول إلى المقبرة لملاقاة حشد من الناس المنتظرين منذ بعض الوقت أمام قبر صغير ظنّاً أنه يضمّ ما تبقّى من جثّتي أبي وأمّي معاً.

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

شوپّر

لم نعلم أن "الشبل" ليس شبلاً بالفعل إلا عندما سُرِقَتْ درّاجته الهوائية. لم يجرؤ عندها على القيام بأي شيء لاستردادها. كل ما فعله هو أنه أطلق بعض العيارات النارية في الهواء من شبَّاك غرفته، ثمّ استلقى على الفرشة الإسفنجية على الأرض، وراح يذرف الدموع من عينيه المفتوحتين، ساهماً في السقف، وشاعراً بحنين قوي إلى أمّه، فيما مسدّسه إلى جانبه.

الدرّاجة كانت هديةً من أمّه. لكننا لم نره يقودها إلا مرّات قليلة. عرضها في صندوق زجاجي مستطيل قريب من المدرسة التي في شارعنا، من أجل أن يراها الجميع. لكن أحداً لم يكن ليفكّر لحظة بالتوقّف أمامها وإمعان النظر بها. الشبل قد يُجنّ إذا ما فعلتَ ذلك، ويأتي في الليل، ويطلق عليكَ النار وأنت نائم في سريركَ. كما فعل مع عمَّتِه العجوز عندما وجدها ذات ليلة تحاول إخراج سمكتيه الذهبيتين من البانيو؛ لكي تستحمّ، فأودع رصاصة في كل من قدميها الضعيفتين اللتين سرعان ما أصيبتا بالغرغرينا، وبُترتا من فوق الكاحل بالضبط. تذكار من سمكتيه، قال.

الشبل بإمكانه فعل ذلك بالسهولة التي يقصّ بها المرء أظافره؛ لأن مسدسه كاتم للصوت. بعدها سيتخلّص من المسدّس، ويقتني بدلاً منه مُسدَّساً بنوعية أخرى، كأي قاتل متسلسل ومُوَفَّق جداً، لم يتجاوز السادسة عشرة من عمره. لهذا، لم يكن أحد مستعدّاً للتضحية بحياته من أجل نظرة إلى درّاجة هوائية. بل إن بعضاً من سكّان الحي، كان يرسل ابتسامة خاطفة للدرّاجة، أو يحييها بإيماءة سريعة من رأسه، كما لو أنها كلب مهيب، يحرس الحي. بخلافي أنا. كنتُ كلّما مررتُ بها، تنتابني رغبة في الانقضاض عليها،

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

وعضِّها بأسناني؛ إذ إنها درّاجة هوائية تجعلكَ تشعر بالجوع لفرط ما هي خلابة. "شوپر". برتقالية وبيضاء. بعجلتين بنِّيَّتَيْن، تلمعان صيفاً شتاء، كأنهما من اللبن المعجون بالشوكولاتة والكرز. العجلة الأمامية صغيرة، أما الخلفية؛ فأكبر حجماً بدرجة ملحوظة. بل كنتُ أجرؤ على تَخَيُّل أنه من المستحيل قيادتها بسرعة؛ لأنك إذا فعلتَ ذلك، فستذوبُ الدرّاجة لفرط ما هي مهفهفة. كما لو أنها مصنوعة من حبيبات مسحوق للغسيل. نعم، لطالما أصابني مرآها بالتشوّش. لكنها كانت عكس كل ما قلتُه. درّاجة شديدة المتانة. من النيكل والرصاص. حدّ أن الشبل أخذ يصيح مستخفّاً عندما انفجرت أول سيارة مفخَّخة عند أقرب مستديرة إلى حيّنا، قائلاً إن درّاجته بإمكانها أن تتسلّق عمود الدخان الذي كان يحدّق فيه كل سكّان حيّنا بذعر. كما لو أن السيارة المفخّخة تلك، بضحاياها، ليست إلا جزءاً من إعلان تجاري عن جودة درّاجته.

الصندوق الزجاجي الذي وضع الشبل فيه الـ"شوبّر"، كان مخصَّصاً لعرض تمثال القدّيس "مار مطانيوس"، شفيع المجانين. لكن الشبل، وفي اليوم الذي دخلتْ فيه أمّه مستشفى الأمراض العقلية، أفرغَ الصندوق من الشفيع، وحَطَّ مكانه الدرّاجة الهوائية. كان ذلك قبيل المناوشات الأولى في الحرب. سكّان حيِّنا لم يكونوا من المسيحيين، إلا أن الصندوق والقدّيس كانا هدية من سكّان الحي المقابل، الجيران الذين ستُرغمنا الحرب على قطيعتهم. وقد تجرّأ أولادهم، المسلّحون الآن، وتسلّلوا إلى حيِّنا ليلاً؛ ليمدّوا أيديهم إلى درّاجة الـ"شوپر" في الصندوق كردّ اعتبار للشفيع المفقود "مار مطانيوس"، المصنوع بالشمع، والذي أرغمني الشبل بعدما أزاله من الصندوق، وبإشارة من رأسه فقط، على نشره نصفين بالطول، وأنا ربطتُ نصفاً منهما، بزنار من الأسهم النارية الثخينة، وأطلقتُه في الهواء باتجاه حيّ المسيحيين. فعلتُ ذلك على مرأى من الجميع. وبعد ساعات على فعلتي، بدأ سكّان حيّنا بنصب المتاريس.

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

كنتُ أعرف أن الصندوق والشفيع لم ينوجدا في الحيّ إلا من أجلي. فقد وُضِعا في عيد ميلادي تحديداً، تعبيراً عن شفقة سكّان حي المسيحيين عليَّ. وهذا ما كانت عينا الحلاّق تقولانه لي كلّما ذهبتُ إليه لأقصّ شعري. كانتا تقولان أيضاً إن عليّ أن أتعافى بأسرع ما يمكن، قبل أن تندلع أولى الاشتباكات. فأنا إذا ما فعلتُ ذلك، يعيدُ سكان حيّنا الصندوق والشفيع سليماً إلى حي المسيحيين، مع بطاقة شكر ربمّا، وقد يقيمون حفلة مشاوي، ويذبحون خروفاً صغيراً. وبهذا نحيِّد حيّينا تماماً عن الحرب، ونتفادى عدداً من المعارك، ونكتفي بالحيطان الصغيرة التي بُنيت على أسطح بعض البيوت في حيّنا - وهي حيطان مناسبة للقنّاصة في أسوأ الأحوال - كان هناك فكرة أن يكتب عليها الأطفال بالزفت الأسود مذكّراتهم المشتركة مع أطفال حي المسيحيين، الحفلات والمناسبات العامّة، وتاريخ كل لحظة إذا أمكن. أما في حال أخفقتُ في الإذعان للقديس، ولم أُشفَ، واندلعت الحرب؛ فإن التمثال سيتعرّض للتخريب حتماً، لأنه تمثال مسيحي، وهذا مُستفزّ للجيران. وسيكون الأمر ذريعة لاقتحام حيّنا. لذلك وقع كل شيء على عاتقي، وأضحيتُ تحت الضغوط. فعليّ أن أُشفى ممّا أنا فيه، وبأسرع ما يمكن. بل إنني كنتُ كلّما عدتُ من عملي في السمكرية كل يوم، ألاحظ أن العيون تحدّق بي. الدكنّجي والميكانسيان وصاحب محل الأدوات الرياضية والمحمّصاني. أيضاً الأطفال، وواحد منهم سألني مرّة وأنا داخل البناية "لماذا لا تُشفى؟!". ثمّ أدلف البيت، وتكون أمّي وجدّي وأختي ينظرون إليّ وعيونهم تقول "لا نملك مكاناً آخر نلجأ إليه. عليك أن تُشفى. لا خيار أمامكَ!". وأمي تشعل عيدان بخور كل يوم، وتُدلّك رأسي وتكبس على تلك النقطةَ بين عينيّ، وهي تتمتم آيات من القرآن، ثمّ تختم بالقول "بالشفاء!" فيما أنا أغفو. ولو ذهبتُ للتفرّج على تدريبات فريق الكشّافة الذي بات يلبس لباساً عسكرياً، في البؤرة، يتوقّف الجميع عن التدريب برهة، وينظرون إليّ بأعينهم التي أفهم أنها تقول "نحن نتدرّب لأننا نعرف بأنك لن تُشفى أبداً". ثمّ يُكملون ما يقومون به. باختصار، فقد أصبح

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

التمثال مع الأيام، ومع انزلاق الشوارع والبيوت نحو مفرمة الحرب، عبئاً عليّ أنا بالذات. لذلك، كنتُ في غاية السعادة وأنا أربطه بالأسهم النارية وأطيِّرُه في الهواء. شعرت كما لو أنني أنا نفسي من يطير.

إلا أن الشبل كان واقعياً جداً. هو الوحيد الذي فهم بأنني لن أُشفى أبداً. قال لي دائماً في محلّ الفليبرز "أنا مقتنع بأنكَ لن تُشفى أبداً. لهذا أحمل معي هذا المسدّس. أنظر. هذه الماسورة من أجل ألا يصير له صوت. يعني لو أطلقتُ عليكَ النار، لن يعرف أحد بأنكَ مُتّ. ولا حتّى أنتَ نفسكَ". كان يروق لي هذا الجزء من الحكاية كثيراً. أن أموت دون أن يعرف أحد أنني ميت. لذلك كنتُ كلّما رأيتُ الشبل أقول له "أعدْ عليّ تلك الحكاية. بأنني إذا متّ لن يعرف أحد بالموضوع". فيُخرِج المسدّس بخفّة من وراء ظهره وسط قلق الأولاد الآخرين، ويخرطشه، ثمّ يقول "هذا مسدّس. وهذه الماسورة فيه، من أجل ألا يصير له صوت. يعني إذا أخذتكُ في هذه اللحظة إلى ذلك الزاروب، وقوّصتكَ هناك لن يعرف أحد من هؤلاء بأنك متّ. ولا حتّى أنت نفسكَ". فأشعر بسعادة تصل إلى تلك الندبة المكوية في إصبع قدمي الصغير، وترتعش جمجمتي، كما يحدث لي حين أتبوّل، وأقول له "خذني إلى الزاروب، وقوّصني"، وأبدو كما لو أنني أتحدّاه. إلا أنه يقول "عليك أن تُشفى أولاً. أنا لا أطلق النار على أشخاص ليسوا بكامل وعيهم العقلي"، ثمّ يأمرني بحزم أن أغرب عن وجهه.

كان واضحاً أن الشبل لن يقوّصني مهما رجوتُه. الأمر بالنسبة له مسألة كرامة. حتّى إنه تباهى بها في رسالة لحبيبته فتاة البريفيه في الطابق الأرضي من البناية التي يقطنها. هي مَن أخبرني بذلك. بينما كنتُ أفتح بالوعة المطبخ في بيتهم، اقتربتْ مني، وأنا أعمل بسيخ الفولاذ، وهمستْ "هل تعلم؟ أنت السبب. منذ أن كتب لي الشبل قائلاً إنه لن يقوّصكَ، بدأتُ أقع في حبّه. أدركتُ أنه فعلاً شخص ذو حساسية عالية". كانت حبيبته نحيلة. مؤخّرتها نصفا بطيخة، وثدياها بحجم طابة السيفون البلاستيكية،

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

أما عيناها فمضروبتان بالنعاس ليل نهار، وحين تتكلّم إليكَ تشعر أنت وكأن أحداً وضع رأسها للتوّ في كيس. وقد قالت ما قالتْه برقّة حتّى إنني عندما انصرفتُ ذرفتُ دموعي في بالوعة مطبخهم. لكن المؤسف في الأمر كان إدراكي بأن يتحوّل الناس في حيّنا إلى صابون، أسهل من أن يُقوّصني الشبل. ولم يكن هناك من وسيلة لدخول بيته في الطابق الرابع. فباب بيته مفخّخ، هذا ما كان يُشاع. إنك لو لمستَه بطريقة خاطئة، ينفجر. لولا ذلك، لكان من السهل دخول حمّامه، وإفراغ البانيو من سمكتي الشبل الذهبيتين، ثمّ البقاء عارياً تحت الدشّ إلى حين عودة الشبل إلى البيت.

بعد دخول أمّ الشبل مستشفى الأمراض العقلية، صار الناس في الحي يبصقون كلّما مررتُ بدلاً من أن يكتفوا بالنظر إليّ فقط بأعينهم. الحلاق قال لي إن كل ذلك حدث لأنني لم أُشفَ. بل وبسبب تلكّئي في الشفاء، لم يعد "مارمطانيوس" يريد خيراً للحي. وإلا ما كانت أم الشبل تحديداً، بين جميع نساء الحي، مَن أصيب بالجنون. أما أمّي؛ فأصبحت عصبية، وتبكي، وجدّي يسعل بقوة أكبر ويبصق بلغماً أكثر من اللازم. كنتُ أعرف أنهم يُلقون اللوم عليّ لأنهم لم يكونوا فاهمين تماماً السبب الذي سيجعل الحرب تقوم. وأنا لم يعجبني هذا النوع من الحياة. لكن الشبل عندما وضع الدرّاجة الهوائية في الصندوق قدّم لي فكرة تشبه اللمعان. فقد حزرتُ أن الوسيلة الوحيدة لجعله يقوّصني هي بأن أذهب إلى الصندوق، وأجلس على الدرّاجة الـ"شوپر" في وضح النهار. سأخرج من البيت، كما لو أنني ذاهب إلى العمل. في الثامنة والنصف صباحاً. لكنْ؛ بدلاً من أن أتّجه إلى محل السمكرية، سأكتفي بقطع الشارع، فأصبح بعد خطواتٍ داخلَ الصندوق الزجاجي، بل وجالساً أيضاً على درّاجة الـ"شوپر". أظلّ جالساً كما أنا، إلى أن يراني الشبل، فيقوّصني. بل وربّما سيقوّصني من شبّاك غرفته، وهو لا يزال بالكيلوت والفانيلة. المهمّ أنني عندما سأموت لن أعرف بأني متّ. لذلك لن أصاب بأذى. ولن أعود أشعر بالصفعات التي بتُّ أتلقّاها على رقبتي من سكان الحي، ولن أعود أتأثّر بدموع أمّي، أو ما تقوله

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

عيون الناس حول علاقة التمثال بي. علاوة على ذلك، سأكون الوحيد في الحي الذي ركب دراجة الـ"شوبر".

في ذلك الصباح، قبَّلتُ أمّي التي كانت لا تزال نائمة، وشطفتُ العلبة التي يبصق فيها جدي البلغم، ثمّ أرجعتُها إلى مكانها المعتاد، بجانب رأسه. لكنني عندما دلفتُ من البناية، اكتشفتُ أن الدرّاجة غير موجودة في الصندوق. لم أصدّق عينيَّ. كنتُ مصدوماً وتوتّرتُ كما لو أن الدرّاجة دراجتي أنا. ثمّ دمعتْ عيناي وأخذ ذقني يرتجف. دخلتُ الصندوق دون أن أفكّر بشيء، ورحتُ أنظر حولي وأتلمّس بيديَّ الهواء وجدران الزجاج، علّ الـ"شوبر" موجودة، لكنني غير قادر على رؤيتها. كان هناك بعض من سكان الحي حول الصندوق. وكانوا ينظرون إليّ إلا أن أياً منهم لم يجرؤ على وطء الصندوق لإخراجي. حتّى عندما رأوا الشبل قادماً من بعيد لم يقل أحد منهم "الشبل آت. أخرج بسرعة" أو شيء من هذا القبيل. جاء الشبل من خلفي، ونترني بقوّة، فوقعتُ على الأرض، وبتُّ خارج الصندوق. كان غاضباً، وبالإمكان معرفة ذلك من أذنيه المحمرَّتَين، وكان يحمل مسدّسه في يده. أما أنا؛ فلم أكنْ أعرف أن الدرّاجة قد سُرِقت. بل خلتُ بأنه وضعها في صندوق آخر، أو أعادها إلى بيته. وهذا ما خلاني أترجّاه قائلاً "أرجوكَ، أعد الـ'شوبر' إلى الصندوق". عندما قلتُ له ذلك، عاد إلى غرفته، وأطلق بعض العيارات النارية من مسدّسه، وتذكر أمّه، وبكى.

عليّ القول إن الصندوق والشفيع لم يكونا هبة من لاشيء، وإنما لأن الجيران المسيحيين شعروا بالإحراج والحزن، كون ما أصابني حدث بسبب أولادهم. تحديداً الولد ابن صاحب الجمعية الخيرية التي تقيم الحفلات لأطفال يعانون خللاً في الكبد. كنا في محل الفليبرز، الذي يقع في زاوية محايدة بين حيّنا وحي المسيحيين. وكنتُ لابساً قفَّازَي الملاكمة. مع أنهما لم يكونا قفّازي محترفين، ولا حتّى هواة، إلا أنني كنتُ سعيداً بهما. كانا جائزة من شركة بسكويت "ريكوز" كسبتُها لقاء خمسين غلافاً فارغ. وكان

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

،ايها ذلك الرسم الأخرق لبسكويتة لها ذراعان صغيرتان، وترتدي قفازي
.ملاكمة، وتلاكم. لكنني لم أكترث. فقد كانا أول قفازين أضعهما في يديّ
«أنا لطالما كنتُ أريد أن أصير ملاكماً بطلاً. يخلّص العالم بلكماته - دون أن أعرف بالتحديد ما هو الشيء الذي يجب على المرءُ أن يلكمه من بين كل الأشياء، ليخلّص العالم. أن أصبح ملاكماً قوياً رهيباً، كما لو أنه يلاكم لا بقفازين، بل بخرطومي فيل ملفوفين حول يديه. ثمّ أتى ابن صاحب الجمعية الخيرية. وطلب مني أن أعيره القفازين. قال إنه يريد أن يُجرِّبَهما على ماكينة البوكس في محل الفليبرز. وبعد أقل من دقيقة، كانا قد أصبحا بحوزته. لكنه عندما أدخل فيهما أصابعه، وكوَّر يديه الكبيرتين، تمزَّقا، ورفض أن يعطيني خمسين بسكويتة "ريكوز". وعندما رجعتُ إلى البيت مقهوراً وغير فاهم لماذا حدث ما حدث، رتقتْهما أمّي بالإبرة والخيط. طبعاً، ليس بسبب هذا، أصبحتُ أصابُ بنوبات دماغية تجعلني غير قادر على تصديق كل ما أسمعه أو أراه. وإنما لأنني ذهبتُ في اليوم التالي لابساً قفازي الـ"ريكوز" المقطوبين، إلى بيت ابن صاحب الجمعية الخيرية عازماً أن ألكمه أول ما يفتح الباب، ثمّ أهرب، وجدتُ أن أصابعه العشرة قد احترقتْ بالكهرباء عندما كان يحاول تمليس شعر أخته الصغيرة بالـ"فير" الكهربائي. بل عرفتُ بأن أصابعه كانت ملتصقة ببعضها ومكوَّرة أيضاً. كما لو أنها لا تزال مدسوسة داخل قفازي الـ"ريكوز" المفتوقين. كانت عيناه حزينتين جداً، وهما تنظران إلى قفازي الملاكمة اللذين كنتُ لابسهما في يدي. كأنه يلومهما. أبوه وأمّه نظرا أيضاً إلى قفازي ريكوز. وأنا شعرتُ بصعقة في دماغي. شيء لم يحدث لي من قبل. ومن يومها، صارت تنتابني نوبات. ومعها، يتجمّد رأسي، عيناي وشفتاي وأذناي وحاجباي وغمازتيَّ أيضاً. وأصير خلال ذلك فاقد القدرة على رؤية أو سماع أو شم أي شيء حولي. وفي المدرسة، لم أعد أصدّق الدروس التي تُلقّننا إيّاها المعلّمة، فلم أعد أذهب إلى الصف. ومع أن الولد أُجريت له عملية في أصابعه، وعادت يداه تقريباً إلى وضعهما السليم، إلا أن النوبات ظلّت تداهمني، وتركتُ المدرسة، وصرت

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

أعمل في السمكرية. ولاحقاً صاروا يدعونني "شفيع المجاري المسدودة" كوني بتّ موهوباً في إدخال السيخ اللولبي في البلاعة المسدودة وإخراج الغرض الذي سدّها بنكشة واحدة. هذا الحَدْس بالمجاري المسدودة هو ما كسبتُه من النوبات. لكن سكان حي المسيحيين الذين كانوا لطفاء جداً، ظلّوا يشعرون بالذنب تجاهي. حتّى إن بعضهم، كان يتعمّد أحياناً سدَّ بلّاعة المجلى أو المغسلة في بيته، بقطعة كلينكس بسيطة أو كيس نايلون أو جورب؛ كي آتي وأسلّكها، فيوفّروا لي بذلك عملاً. وفي أول عيد ميلاد لي، أرسلوا إلى الحي الصندوق والشفيع "مار مطانيوس".

كنتُ لو اندلعتْ الحرب، سأكون الوحيد الذي باستطاعته الدخول والخروج بين حيّنا وحي المسيحيين. هذا لأن المسلّحين هناك لم يكونوا الآن سوى الولد ابن صاحب الجمعية الخيرية وأصدقائه. وأحد منهم لم يكن مهتماً بتقويصي الآن. لأنك حين تقتل أحداً في الحرب، فذلك لكي تستفزّ الآخرين. ومقتلي لن يستفز أحداً، رغم أنني ربطت تمثال القدّيس "مار مطانيوس" بحزمة الأسهم النارية تلك، وأطلقتُه باتجاه حيّهم.

هذا ما جعل الشبل يجيء إلى بيتنا، ويطلب مني أن أذهب إلى حي المسيحيين، وأسترجع له درّاجة الـ"شوپّر ". أمّي حين رأتْه، شعرتْ بخدر في ركبتيها، ولم يعد بإمكانها النهوض. وجدّي سعل كثيراً. لكنني تباهيتُ كثيراً وجداً. حتّى إنني أبقيت باب البيت مفتوحاً والشبابيك الثلاثة أيضاً؛ كي يرى الناس أن الشبل عندنا. بل حتّى إنني تباهيتُ أمام الشبل نفسه، فقاطعتُ حديثه مرّةً، وذهبت أنظّف علبة البلغم لجدّي. طبعاً وافقتُ على طلبه فوراً. وافقتُ بشرط واحد. همستُ للشبل: بشرط أن تُقوِّصني بالكاتم للصوت، وأنا جالس على درّاجة الـ"شوپّر". والشبل فكّر، ونظر إلى عينيّ مطولاً، ثمّ قال إن هذا سيكون عاراً عليه، لكنه سيفعل ذلك من أجل درّاجة الـ"شوبر" التي سيستعيدها، لا من أجلي، وفي مكان لا يرانا أحد فيه. ملعب قسم الحضانة في المدرسة القريبة. وعليّ أن أكون مستحماً ونظيفاً

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

من رائحة السمكرية، وأن أكون لابساً مريولاً كبيراً؛ لأنه لا يريد أن تتلطّخ الـ"شوبر" بالدماء. وأنا فكّرتُ بمريول الحلاق، والشبل قال إنه سيحضر المريول بنفسه، ووافقتُ.

أولاد حي المسيحيين لم يُسلِّموني الدرّاجة في اليوم الأول. قالوا إن عليّ إحضار التمثال، كوني لن أُشفى أبداً، وأن أعود غداً. وعندما رجعتُ اليوم التالي، وكان ذلك في المساء، كان التمثال يتدلّى في كيس من وراء كتفي. كان مكسوراً نصفين وربمّا ثلاثة، وأطراف منه ذائبة بفعل انفجار الأسهم النارية، كونه شمعي. لكن الـ"شوبر" كانت بانتظاري. مهفهفة كما لو أنها خارجة من الصندوق الزجاجي. نظيفة، ولا خدش واحد فيها حتّى. كانت تلك المرّة الأولى التي سألمس فيها الـ"شوبر". وقد فعلتُ ذلك بإحساس بالغ. بل إنني ومن فرط حماستي حدث انتصاب في عضوي. ما جعل الأولاد يضحكون عليّ، ويأمرونني بالانصراف بلطف، ويقولون "حتّى لو صرتَ أنتَ بنفسكَ مارمطانيوس، فإنك لن تُشفى". توجّهتُ إلى ملعب قسم الحضانة في المدرسة؛ حيث كان ينتظرني الشبل. كان يحمل مسدّساً كاتماً للصوت، لم أره في يده قبلاً. فضّي وأخفّ وزناً من مسدّساته السابقة. قال لي وهو ينظر إلى الشوبر، ويسلّمني مريول الحلاقة، "لم أستعمل هذا المسدّس من قبل. لكنني من الآن فصاعداً لن أستعمل غيره. لقد وعدتُ أمّي بذلك. زرتُها اليوم في المستشفى. وهي ستخرج قريباً. وسنذهب أنا وهي كما كنا نفعل من قبل إلى الجبل، وأقود الـ"شوبر" أمامها. قال لي الطبيب إن ذلك سيساعدها على الشفاء". أما أنا؛ فلم أشعر بأنني مَعني بكل هذا. كنتُ ممسكاً بالدرّاجة، ورحتُ أفكّر فقط إذا كان من الأفضل أن أجلس من تلقاء نفسي على الـ"شوبر" أم أنتظر أن يأذن الشبل بذلك أولاً. لكن الشبل قاطعني؛ إذ تسلَّم الدراجة مني، وسلّمني المريول، وأنا ارتديتُه فوراً؛ كي يفهم بأنني جاهز الآن لركوب الـ"شوبر". بعد أن أخرج ضوّاية، وتفحّص على ضوئها كل جزء في الدرّاجة، قال لي "حسناً. يمكنكَ أن تركبها الآن، لكنْ؛ بروية". وأنا الذي لم أقد درّاجة

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

هوائية من قبل، أبقيتُ قدمي على الأرض، ورحتُ أبذل جهداً كبيراً؛ كي لا تنقلب الدرّاجة. في الوقت عينه، فإن الـ"شوبر" ولأول مرّة بدت صغيرة بالنسبة لي. وكنتُ على وشك أن أقول للشبل ذلك. إن الـ"شوبر" أصغر ممّا كنتُ أراها في الصندوق. إلا أنه رفع مسدّسه، وصوب ماسورته الكاتمة للصوت نحو صدري، وأطلق النار. انتشر الألم فوراً في كل عظامي. كما لو أن جيشاً من صراصير المجاري يقضمني بأسنانه وأنا من اللبن المعجون بالشوكولاتة والكرز. وقعتُ فوراً على الأرض، لأن هذا ما يحدث لك في مثل هذه الظروف. أما الدرّاجة؛ فقد بقي الشبل ممسكاً بها. ولم ينظر إليّ لحظة. استدار بالـ"شوبر"، وركبها، وراح يُدوِّس ببطء في الملعب مبتعداً عني. لكنني وأنا أنظر إليه يفعل ذلك، وألقي نظرة أخيرة على الدرّاجة التي لطالما فتنتْني، لاحظتُ أن ثمّة جسماً صغيراً إلى جانبي. جسم ساخن ودخان خفيف يطلع منه. كان عبارة عن رصاصة. رصاصة مطّاطية. رصاصة مسدّس الشبل الجديد، التي لم تخترقني على الإطلاق، ولم يكن هناك أي دماء على مريول الحلاقة. شعرتُ بأن الشبل قد خدعني، بل وإنه سخر مني. كنتُ الآن أريد أن أنهض وألحق به، إلا أنني لم أستطع مغالبة الألم في عظامي. وما إن أوشكتُ على الصياح بأعلى صوتي لأسترعي اهتمامه، حتّى دوّى انفجار في مَسكَتَيِّ الـ"شوبر" الاثنتين، وحوَّلها إلى حطام، ولم يبقَ من الشبل أيّ أثر.

*(*القصة نشرت لأول مرة بالإنكليزية خلال شهر نوفمبر ٢٠١٦، في مجلة "rusted radishes" الصادرة عن الجامعة الأميركية في بيروت.)*.

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

كابوتشينو

أنت شاب. مجرّد شاب أعزب، "سينڤل". منذ أن تركتْكَ حبيبتكَ، حبيبتكَ الرائعة منذ أكثر من عام وأنت "سينڤل". إنها امرأة كانت تكبركَ بستّة عشر عاماً. لكنكَ أُغرمتَ بها فعلاً. وحين تدخل ركن المقهى في المكتبة الكبيرة، تقول للنادلة الجميلة "أريد كابوتشينو... ʻسينڤلʼ". والنادلة لا تلاحظ أي شيء غير عادي في ما قلتَه. فـ"سينڤل" في معجم المقاهي تعني جرعة القهوة التي في المشروب. في المرّة الثانية، تدخل المقهى ذاته. تتقدّم من الكاونتر بهدوء وتقول للنادلة وأنت تبتسم "سينڤل". تقول "سينڤل" مرّتين بعد الكابوتشينو، لكن النادلة مجدّداً لا تلاحظ أيّ تلميح في المعنى. في المرّة الثالثة تستقبلكَ هي بوجه بشوش، سائلة "كابوتشينو ʻسينڤلʼ، أليس كذلك؟"، فيما تسجّل ذلك على الورقة بحركة ميكانيكية. فتهزُّ أنتَ برأسك ممتعضاً، لكنها تستدير ناقلة عينيها العسليتين وشعرها الأسود القصير بعيداً عنك؛ لتحضّر لكَ طلبكَ بعناية. لكنك في المرّة الرابعة، تكون قد عقدتَ العزم على مفاجأتها. لو سألتْكَ "كابوتشينو، ʻسينڤلʼ؟" سوف تقول لها "لا. هذه المرّة أريد مشروباً مختلفاً. زهورات. لكنْ أيضاً ʻسينڤلʼ، لا أزال على نفس الحال. ʻسينڤلʼ". حتّى إنك تحلق ذقنكَ، وتأخذ دوشاً، وترش القليل من "بُصّ" والتي تعني الزعيم أو المتحكم بمقاييد الأمور. لكنْ؛ وفيما أنتَ تتّجه إليها، يهرول شاب آتياً من خلفكَ، ويطبعُ قبلة طويلة ورقيقة على شفتيها. مسدّسه ظاهر، وهو يحتكّ بكَ، لكنك لا تجيد سحبه من بطلونه بحركة خفيفة كما في الأفلام، أو ربمّا لم تفعل ذلك لأنك مندهش.

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

النادلة مندهشة أيضاً، وتراها أنتَ بطرف عينك التي سينخرها الدود، وقد احمرّت خجلاً. ثمّ يقول لها الوغد إنه يراها هنا كل يوم، لكنه لم يجرؤ يوماً على طلب أي قهوة بسبب جمالها الأخّاذ. تبتسم هي، وتقول "كم هذا مُرهَف". وتدرك أنتَ فوراً أنهما على وشك أن يبدآ علاقة وسط ابتسامات الزبائن ودهشة البعض، وتشجيعهم بالتصفيق. وبعد انتهاء الاحتفاء القصير هذا، بين فتاة المقهى والشابّ الذي يعمل صحافياً، ومسدسه للحماية، تستدير هي نحوكَ مرحّبَة بكَ بفتور، كما لو أنكَ صديقها السابق، وعلاقتكما انتهت للتو "أهلاً. كابوتشينو، ʻسينڤلʼ أليس كذلك؟"، تسألكَ، وهي تقلّب ورقة صفراء في الدفتر الصغير لتدوّن الطلبية كونها واثقة تماماً من رتابتكَ. لكنك تقول "لا. هذه المرّة لا. ليس كابوتشينو. بل إسبرسو. وʻبايʼ هل فهمتِ؟ ʻبايʼ". و"باي" أنتَ تمطّ لفظها، كما في "باي سكشوال ليبيدو" والتي تعني أنك في هذه اللحظة "شبق للجنسين"، وترغب بنيكها هي وصديقها الجديد معاً، بل وإنك بعد أن تفعل ذلك، تريد قشط رؤوس أصابعه، الجلد واللحم وشيئاً من العظام، وتتمنّى لو أن أحداً يفعل ذلك حقاً. لكنها أيضاً "باي" التي تقصد بها "وداعاً"، والأمر سيان.

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

جلو

توضيح حول اللحظات الأخيرة في إبريق جلو

عندما سقطتُ في إبريق الجلو، ظننتُ بأنني سأكون بمفردي. صحيح أن الإبريق كان صغيراً، وإنه لطالما بدا كذلك بالنسبة لي، إلا أنني عندما قرَّبتُ من فتحته، وجدتُ أن بإمكاني إدخال رأسي فيه. راق لي ذلك. وفكَّرتُ بأنها فرصتي؛ إذ قد لا تُتيح لي الظروف مرّة أخرى أن أكون مكتئباً إلى الحدّ الذي يمنحني شجاعة إدخال رأسي في إبريق. أتذكّر أنني كنتُ واقفاً على الكرسي المخصّص من أجلي في المطبخ، بعد أن حملتُه من الطاولة إلى الفرن. ابتلعتُ بعض الهواء الذي قلتُ سأحتفظ به في بطني، ثمّ أنزلتُ رأسي بهدوء في الإبريق. كل رأسي. وانتظرتُ. كل ما أردتُه بداية هو إبقاء رأسي في الإبريق وقتاً كافياً، ثمّ أن أخرجه. لكنني عندما حاولتُ إخراجه بعد ذلك، لم أستطع. ولأنني لم أكن قادراً بعد على لفظ جميع الكلمات، فلم أتمكّن من أن أنطق كلمات مثل "أنقذوني" أو "النجدة". أو ربمّا الأمر مَردّه أن الإبريق كان ممتلئاً إلى آخره بسائل الجلو الدافئ، ورأسي غارقاً بالكامل فيه. الحقيقة أنني لم أجد تفسيراً معقولاً لوضعي المحيّر هذا، ففضَّلتُ أن أبقى صامتاً. وهكذا، هدأتُ بالكامل وتوقّفتُ عن محاولة قول أي شيء، أو الدفع بيديَّ أو ساقيّ. كان في وسعي أن أشعر بالاضطراب وأن أسعل قليلاً. وهذا ما حدث. لكنني لاحظتُ أن سعالي، حتّى سعالي، أنا غير قادر على إخراجه من الإبريق. وهذا ربمّا في صالحي. فأنا أعرف بأنني لم أكن لأكتفي بالسعال، بل كنت سأبصق أيضاً كما يفعل عادة أبي المريض في الغرفة. ولو فعلتُ ذلك لدوّى صوت البصقة في كل

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

الإبريق وأرجاء البيت، وقصَّ شجار أبي وماما التي قد تهرع فوراً إلى المطبخ لإخراجي قبل فوات الأوان، ما سيضيّع عليّ فرصة إبقاء رأسي في إبريق الجلو حتّى النهاية. فأنا لم أتصوّر بأني سأمرّ يوماً بهذه التجربة، وأريد أن أعرف ما الذي سوف يحدث بعد ذلك.

في البداية، لم يكن الجلو قد أصبح بعد مادّة هلامية. كان لا يزال مجرّد سائل دافئ. وفيما أخذ بدني يبرد، ظننتُ أنْ لا بأس بالسماح لأكبر قدر ممكن من سائل الجلو بأن ينفذ عبر فتحتي أنفي وفمي وأذنيّ وحتّى جلدة رأسي إذا أمكن. فالجلو بعد قليل سيَجمَد داخل جسمي، خصوصاً بوجود الهواء المحفوظ في بطني. وأول ما يحدث ذلك، سأصبح طفلاً إذا ما طعنه طفل ثان بسكّين في سرّة بطنه، لا ينزف. لأن هكذا نوع من الأطفال يخرج الجلو فوراً من أجسامهم؛ ليسد شقّ الطعنة. لهذا، فإنني بينما كنتُ أحاول السعال دون إرادة مني، راح السائل يتدفّق عبر بلعومي، ويملأ جسمي ويتجمع حتى في ممرات رئتيّ. وهو ما جعل سعالي يبدو أمراً مزعجاً وشاقّاً، وشعرتُ أن الدموع تنهمر من عيني، لكني لم أكن متأكداً من ذلك، فيداي كانتا خارج الإبريق وغير قادرتين على لمس وجهي أو خدي. أما السكّين التي أطعن بها ألعابي كلّما أحسستُ بأن هناك شؤوناً لا أفهم كيف حصلت؛ فقد كانت لا تزال في جيبي. سكّين صغيرة، رأسها مُروَّس. وهذا سرّ لا ينبغي أن أبوح به لأحد. لا لماما ولا لأبي. تحسَّستُها. وفي الحقيقة، فإن السكّين تلك كانت آخر ما فكّرتُ فيه. لكنْ؛ حتّى وإن كان سيحدث شيء طارئ جداً في تلك اللحظة، فإنني لم أكن سأتمكّن من استعمالها لحلّ براغي الإبريق وإخراج رأسي. والسبب أنني لم أكن قادراً على رؤية الإبريق من الخارج.

ولو جاءت ماما الآن، ووقفت خلفي لأنها تريد سحبي بحزم من الإبريق، فإن ذلك بالتأكيد لن يحدث دون أن تتكلّم معي. ستُؤنّبني لشربي الجلو مباشرة من الإبريق بهذه الطريقة. وقد أقول لها إن لا فرق أن يأكل المرء

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

الجلو قبل أن يجمد أو بعد، ما دام الجلو غايته أن يجمد في النهاية. لا، هذه الحجّة لن تُقنع ماما. ولا سائر الأمّهات. لذلك سأقول لها شيئاً آخر. إنني بينما كنتُ واقفاً على الكرسي أنظر إلى الإبريق من فوق، رأيتُ سمكة السردين الصغيرة في الجلو، وكانت غائبة عن الوعي، وأردتُ أن أعرف كيف أصبحت هذه السمكة في الجلو، وما إذا كانت فعلاً على قيد الحياة، وإن كان بالإمكان إخراجها من دون أن أصيب الجلو بأذى أو السمكة بالتردّد. لذلك غطَّستُ رأسي في الإبريق، وفتحتُ فمي كله علَّ السمكة الغائبة عن الوعي تُهَرِّب نفسها إلى بطني. وهو ما جعلني أبتلع كمّيّة وافرة من الجلو، لكني قبل أن أتمكّن من إخراج رأسي من الإبريق جمد الجلو حول رأسي، فعلق. ولم أستطع فعل أي شيء. ولا يمكنني أن أُري ماما السمكة، فأنا غير متأكد من مكان السمكة بالتحديد الآن. إما إذا أصرّتْ ماما على ذلك، فسوف أدلُّها على السكّين في جيبي؛ لتشقّ بها الإبريق أو قد تحلّ براغي المسكة، وتتأكد بعينيها، وأنا أعرف أنها لن تجد أي شيء.

ولأن المسألة برمّتها استغرقتْ وقتاً أطول ممّا ظننتُ، والإبريقَ كان لا يزال ممتلئاً بالجلو الذي جمد الآن كله حول رأسي، فإنني لم أعد شاعراً بأي شيء على الإطلاق. لم أكن نعساناً أو برداناً. لا حزيناً ولا متحسّساً أي ألم بين ساقيّ. لقد نسيتُ كل ما وقع لي من حوادث. ولم يكن هناك أي شيء مرافقاً لي سوى شعوري بالإحباط. لقد أردتُ أن أعرف إذا كنتُ لا أزال عائشاً أم أنني قد متّ. ولأن ماما لم تأتِ، لم يكن هناك أي تلميح من العالم يدلّني على الجواب. فالملاك الذي ينقل أرواح الأطفال من الأباريق لم يصل. ربمّا لأن الإبريق جداً صغير، ولا مكان فيه لروح وملاك يعمل ورأس طفل، أو لأن روحي أصبحت أيضاً من الجلو، ولم يعد بالإمكان تمييزها داخل الإبريق. أو أن هناك الكثير من الأطفال في العالم العالقة رؤوسهم في أباريق جلو في هذه اللحظة، وهم في بيوت بعيدة آلاف المسافات عن بعضها، ما يعني أن الملاك الذي ينقل أرواح الأطفال من الأباريق أمامه عمل كثير، وأنني لم يحن دوري بعد؛ كي يُخرج روحي من الإبريق.

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

مريول ملطّخ بالدماء والمخاط

ماما تذهب إلى السجن أربع مرّات في الأسبوع. تعمل هناك. في قسمٍ تحت الأرض. لم أسألها يوماً ما الذي تفعله هناك، لكنها قالت لي إن عملها ليس مهماً. فهي مُكلّفة بتنظيف غرف التعذيب. عندما تعود إلى البيت، يكون مريولها الأبيض مُلطّخاً ببقع الدم والمخاط. تجلس على الكرسي في المطبخ، دون أن تتفوّه بأي شيء. تمجّ سيجارة فقط. فيما يكون أبي يسألها من غرفته "هل عدتِ؟"، لكنها لا تجاوب. فيسألني "هل عادت أمّكَ؟" لكني أيضاً لا أجاوب. أكون واقفاً عند باب المطبخ أنتظرها حتّى تنظر إليّ بتلك الطريقة. وعندما تنظر إليّ بتلك الطريقة، أقرّب منها، وأفكّ أزرار مريولها، فيما هي لا تزال جالسة على الكرسي. لا أعرف لماذا لا تخلع ماما المريول في الطريق من السجن إلى البيت. فأنا كنتُ أحسّ بداية بقشعريرة، كلّما لمستُ أزراره. لكني لم أسألها أبداً عن هذا الموضوع. لأنه مريولها وهي حُرّة في أن تلبسه أو أن تخلعه كما تشاء. قالت لي مرّة وأنا أفكّ أزراره إنها تتعمّد أن تسير به أمام الناس في الحي؛ لأنه يسهل حياتنا. "حياتك بالتحديد"، هذا ما كانت تقوله. لا أعرف كيف سيسهّل مريول مُلطّخ بالدم والمخاط حياتي. ورغم أني لم أكن فاهماً بدقّة ماذا يعني ذلك، لكني صرتُ أحلم بأن يصير لي أنا أيضاً مريول مُلطّخ بالدم والمخاط، أذهب به إلى المدرسة، ويسهّل حياتي في البيت مع ماما وأبي. لكن عمّو عريف السجن عرف بالأمر. وفي أحد الأيام، أتى إلى بيتنا؛ ليزور أمّي، وكان معه مريول مُلطّخ ببقع حمراء وصفراء غامقة، مثل مريول أمّي، لكنْ؛ أصغر حجماً بثلاث أو أربع مرّات. وقال لي إنه هديّتي وإن "الدم والمخاط اللذين عليه هما دم ومخاط حقيقيان". ثمّ وضع يده الكبيرة على عينيّ، وألبسني إيّاه باليد الأخرى. وقال لي إنني الآن أصبحت رجلاً حقيقياً. لا أعرف لماذا لم أرتده كثيراً. ارتديتُه في البيت بضع مرّات، وذهبتُ به إلى الدكّانة مرّة؛ لأشتري علب جلو. لكني كنتُ أشعر كلّما لبستُهُ بأن جلدي على وشك أن يذوب عن جسمي، وينقّط على الأرض كالشمع. فلم أستعمله كثيراً. بدلاً

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

من ذلك، صرت أحياناً أُلبِسُه لجروي الصغير الذي سمّيتُه "صخرة". لأنني أحياناً ما كنتُ أثقب أذنيه بخرّامة الورق عندما لا أكون فاهماً ما يحدث حولي. وهو يصير يعوي بتلك الطريقة التي إذا سمعها كلب سيفهم بأن "صخرة" يذرف الدموع حتّى وإن لم تكن دموعه مَرئية. لذلك، ظننتُ أن المريول سيجعل حياته تصير أسهل معي. لكني في الليل عندما كنتُ أرى كوابيس، كنتُ أنهض من السرير مذعوراً، فأخلع المريول عن "صخرة"، وألبسه أنا فوق البيجامة، ثمّ أنام، فلا أعود أرى أي كوابيس من جديد.

الهدية

ليس صحيحاً أن ماما كانت تنظّف الغرف فقط. فقد ساعدت أحياناً في التعذيب كذلك. حتّى بات تعذيب السجينات غير ممكن من دون وجودها. لكني لم أعرف ذلك إلا في نهاية الحكاية. في البدء لم أكن أذهب معها، لكني لاحقاً صرتُ أفعل ذلك. بعد أن سمعتُها تقول إن هناك أطفالاً أيضاً في الزنازين. رغبتُ في التفرّج عليهم. طلبتُ منها أن تأخذني معها إلا أنها لم تقبل. لكنها سمحتْ لي بأن أرافقها في عيد ميلادي. جلستُ يومها في غرفة عمّو العريف الذي أعرفه جيداً؛ لأنه يزورنا دوماً في البيت. كان ودوداً جداً معي، لكني رفضتُ أن أقول أي شيء. عندما سألني ماذا أريد أن يضيّفوني، قلتُ "أريد الأولاد". فجاوبني "لا. سنأتي لك أولاً بقالب كاتو، ثمّ يكون الأولاد هدية عيد ميلادك. إنه يومكَ، وأنت اليوم قبضاي". وأحضروا لي قالب كاتو كبيراً. بعد أن أكلتُ منه قطعة، وأطفأتُ الشموع التي وضعوها، أخذوني إلى زنزانة الأولاد. قال لي عمّو العريف إنهم كانوا أطفالاً سيّئين. فعلوا شيئاً سيئاً وقبيحاً، ووجب اعتقالهم طوال الحياة. ثمّ أعطاني كرباجه، وقال "إنهم هدية عيد ميلادكَ. افعل بهم ما تشاء". وفتحوا لي باب الزنزانة. دخلتُ، وبدأتُ أضربهم بالكرباج. كان ذلك غريباً بعض الشيء عليّ، فأنا لم أفكّر في ضرب أي ولد في العالم من قبل. إلا أن الكرباج في يدي غيَّر مشاعري تماماً. أمرهم عمّو العريف بأن يخلعوا

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

كنزاتهم، وأن يتجمّعوا في الزاوية. في أول ستّ أو سبع ضربات أمسكتْ يد عمّو العريف بيدي ما زاد من قوّة الكرباج. لكنه سحب يده عندما وجد أنني أصبحتُ قادراً على المضي في ذلك وحدي. أخذ الأولاد يئنّون؛ لأن عمّو العريف حذّرهم بأنه ممنوع أن يبكوا أو يزعقوا كونه عيد ميلادي. كانوا عالقين. وشعرتُ أنهم خائفون مني أكثر من خوفهم من عمّو العريف أو أي جندي في السجن. وبقيتُ أضربهم إلى أن تعبتُ، توقّفتُ عن ضربهم، وأعدتُ له الكرباج. قال لي "في المرّة المقبلة تعال وأنتَ لابس المريول". صحيح أنني لم أشعر بأية شفقة تجاه الأولاد، بينما كنتُ أضربهم إلا أنني عندما رجعتُ إلى البيت دخلتُ غرفتي، وبكيتُ. لا أعلم ما السبب الذي جعلني أبكي، لكني تركتُ نفسي في حالة بكاء حتّى النهاية. كان "صخرة" ينظر إليّ، لكنه لم يقرّب مني لأنني كنتُ قد عملتُ ثقباً جديداً في أذنه اليسرى بخرّامة الورق في اليوم السابق.

كرباج ورق

بدأتُ أزور الأولاد في زنزانتهم. أقول لعمّو العريف كل مرّة "إنه عيد ميلادي وأريد أن أرى الأولاد"، فيبتسم، ويُدخلني إلى الزنازين. أول ما أصل كان الأولاد يقفون ويتجمّعون في الزاوية من تلقاء نفسهم. وأنا يكون معي كرباج الورق الذي صنعتُه بنفسي، وهو طويل ومَحشو بأوراق الكلينكس، ومُلَصَّق. أرفعه في الهواء، وأهوي به عليهم كما تعلّمتُ بكرباج عمّو العريف. لكن الأولاد بدل أن يتألموا كانوا يضحكون. قبل كرباج الورق، لم أر أياً منهم يضحك. لكنهم الآن كانوا يضحكون بصراحة، وينظرون إلى بعضهم البعض. وأنا كنتُ أشعر أن كل واحد منهم يريد أن يعرف كيف يبدو منظر الآخر عندما يضحك. في البدء، كان ضحكهم خفيفاً، خشية أن يتضايق الجنود. لكني لم أكن أكترث لمشاعر أحد، فأواصل جلدهم بكرباج الورق بلا هوادة. إلى أن بدأتُ أضحك أنا أيضاً. والأولاد، ما إن رأوني أضحك حتّى شعروا بالجرأة التي فيهم، وأصبح ضحكهم أعلى. كنتُ أنا أيضاً أنظر

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

إليهم الآن. كأنني أريد أن أعرف كيف تبدو مناظرهم وهم يضحكون. وعندما رأينا أننا جميعاً نضحك في الوقت نفسه، اكتشفنا بأننا نلعب. منذ تلك اللحظة، أصبحتُ أنا والأولاد أصدقاء. وصارت زياراتي بالنسبة إليهم موعداً للعب، وكرباجُ الورق تسليتَهم الوحيدة. لم أكن أعرف أنهم كانوا قبل دخولهم السجن يسكنون في الطرف البعيد من حيّنا.

عليّ القول إنني كنتُ كلّما جئتُ إليهم أكون لابساً المريول. أستعيره من جسم "صخرة" الذي لكثرة ما خرمتُ أذنيه لم يعد ينبح كما تفعل الكلاب. وهذا ما يفسّر أنه لم يُبد اعتراضاً في أي يوم. المريول هو الشيء الوحيد الذي كان يُزعج الأولاد. يسألونني لمَ تلبسه. وأقول إنني إذا لم ألبسه فإن عمّو العريف لن يخلّيني أراهم. ينتبهون إلى المريول ما إن أتوقّف عن ضربهم بكرباج الورق. عندها نكفّ جميعاً عن الضحك. لكني ولكي أحبِّبهم في المريول، صرتُ أملأ جيوبه ببودرة الجلو. ثمّ أطلب من كل ولد أن يُدخل يده في المريول، ويغرف كمشة من البودرة الحمراء التي لم تكن تلمع في السجن، كما في مطبخ البيت لأن لا ضوء. في البداية، رفض الأولاد أن يضعوا أكفّهم في جيوب المريول. وزعّلني هذا الأمر. قلتُ لهم "سأنادي عمّو العريف إذا لم تفعلوا. وعمّو العريف سيأتي ومعه ذلك الكرباج". لكنني كنتُ أكذب. كنتُ أكذب بالطبع. فعمّو العريف لم يكن سيأتي. لأنه منفعل ويريد تمزيق الرجل الذي فجّر شنطته على الحاجز، وقتل ابن أخته. أنا سمعتُهم يقولون إن عمّو العريف وبعض الجنود دقّوا مسماراً ثخيناً بين عينيه، وأحدث ذلك شقّاً في جبينه بالطول، سدّوه بالباطون. والرجل ظلّ واقفاً يومين على ساقيه المنتفختين، وحمّلوه منشفة؛ ليجفف بها الدم إذا عاد ونزل من رأسه. لأن معطف عمّو العريف الذي علّقه على المسمار في رأس الرجل يجب أن لا يُلطّخ بنقطة دم واحدة. لكن هذا جعل ماما تذهب إلى السجن، وتبقى هناك لساعات متأخّرة من الليل، وهو ما كان في مصلحتنا أنا والأولاد المساجين؛ إذ صار بإمكاننا أن نرى بعضنا أكثر. لكنني لم أعرف أن الدم والمخاط اللذين على المريول كانا مأخوذين من

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

أجسامهم. والأولاد علموا بذلك. شعروا به بقوّة. ولهذا السبب لم يرد أي منهم أن يدخل يده في جيب المريول. كذلك لم أفهم عندما قال لي عمّو العريف إن فكرته في التحقيق مع الرجل أخذها من جيب مريولي.

كيف يقول أولئك الأولاد "أحبّك"

الجنود كانوا أحياناً يأتون، يقاطعون لعبنا بكرباج الورق، ثمّ يُرغمون الأولاد على التبارز بالسكاكين. يتفرّجون عليهم، ويتراهنون وكانوا يطلبون مني أن أضع أيضاً رهاناً. في البدء لم يكن بإمكاني القبول، ذلك أنه لم يكن لدي أي نقود. لكني عندما أصبحتُ أعرف الأولاد جيداً، صار بإمكاني أن أحزر مَن منهم سيفوز لو تبارزوا بالسكاكين. ادّخرتُ بعض النقود من مصروفي، وراهنتُ به. ويمكنني القول إنني شلّحتُ الجنود البلهاء بعض المال. لكني لم أنفق شيئاً منه. لقد خبأتُه كله للأولاد ولي. ورغم أن الأولاد أُجبروا في المبارزات بالسكّين على إلحاق أذى حقيقي ببعضهم، إلا أن أياً منهم لم يكن يكره الآخر. كان من بينهم بعض الأولاد الذين فقدوا القدرة على النطق منذ أن جاؤوا إلى السجن، وبعضهم كان يُتأتئ كثيراً. لذلك ابتكروا إشارة يقولون بها لبعضهم كم يحبّون بعضهم البعض دون أن يجعلوا الجنود يشعرون أنّ عليهم التدخّل في المسألة. فقبل بدء كل مبارزة بالسكاكين كان الأولاد يرفعون كنزاتهم كاشفين عن سرّات بطونهم لبعضهم البعض. تلك الإشارة كانت تعني "أنا أحبّك كثيراً". وهذا أيضاً انطبق عليّ لاحقاً. صرتُ عندما آتي إلى السجن، يقوم الأولاد برفع كنزاتهم كاشفين عن سرّات بطونهم. أعترف أن هذا ما فعلوه عندما جئتُ إليهم أول مرّة مع عمّو العريف. لكني لم أفهم مغزى إشارتهم حينها. بينما كنتُ أضربهم بالكرباج، لم يكن بمقدورهم أن يفعلوا شيئاً لردع الضربات عن أجسادهم، فرفعوا كنزاتهم كاشفين عن سرّات بطونهم. فبما أنني ولد مثلهم، سأفهم أن ذلك معناه "أنا أحبّك كثيراً". هذا ما كانوا يأملونه. لاحظتُ يومها أن جلودهم كانت رقيقة كورق السجائر الذي يستعمله العجائز في القرى. وكان ثمّة

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

مروح وندوب فيها. ولهذا قرّرتُ بعد أن بكيت كثيراً في غرفتي وخرمتُ أذني "صخرة"، أن أصنع كرباجاً من الورق، وأحشوه بالكلينيكس.

عمّو العريف كان يعلم كل ما يدور بيني وبين الأولاد في السجن. يعلم بأنني ألعب معهم بكرباج الورق، وبأننا نضحك، وبأنني أجبرهم على أن يُدخلوا أيديهم في جيوب المريول، ويمضغوا بودرة الجلو. لكنه لم يبدِ اعتراضاً. كان فقط يسألني "تقول لي إذن إن اليوم أيضاً هو عيد ميلادكَ؟ وماذا أحضرتَ لأصدقائكَ؟ جلو كالعادة؟ جيد جيد. سيكون هذا مفيداً لنا أيضاً". وأنا لم أكن أفكّر كثيراً بكلامه، بل أهرع إلى الزنزانة. لم أكن أعلم أن بودرة الجلو كانت تزيد من إحساس الأولاد بالعطش. لهذا وبينما أنا معتقد بأنني ألعب مع الأولاد وأوطّد صداقتي معهم في السجن، كانت وجهة نظر عمّو العريف أنني ابتكرتُ سُبُلاً جديدة لتعذيبهم. بل وبطريقة غير مألوفة. الأمر الذي راق له، فرسم بقلم الحبر الناشف نجمة على كل كتف من كتفي المريول.

جلو لسدّ شقوق في الجسد

بقيتُ أجمّع الأموال من مصروفي كالعادة، طمعاً في أن يصير معي ثمن علبة جلو كبيرة. لكني كنتُ عندما أذهب إلى الدكانة، يعطيني البائع بالمال ثلاث علب بدلاً من علبة واحدة. يخطئ عن عمد. يقول لي "سلّمْ على والدتكَ"، ويربتُ على رأسي. منذ أن بدأتُ أذهب لزيارة السجن، والبائع يفعل ذلك. وأنا تشجّعتُ. صرتُ أحياناً أعطيه ثمن علبة واحدة، وأقول له "أعطني خمس علب جلو". وهو يفعل ذلك دون أن يفتح فمه. كان في كل مرّة ينظر إلى تاريخ انتهاء الصلاحية على قفا العلبة؛ ليتأكد من أنني سأكون بخير. رغم أنه كان يعرف جيداً أن صلاحيّتها لم تكن ستنتهي قريباً. لكنه كان متوتّراً، يخاف أن أزعل منه. وأنا في البيت أُفرغ البودرة التي في داخلها في جيوب المريول كلّما حان موعد زيارتي للسجن. لكن الأولاد كانوا يعانون خطباً ما. فقد بقي الجلو عالقاً داخل أجسامهم. كان

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

ذلك نهائياً؛ لأن أجسامهم راحت تنتفخ مع مرور الأيام. ولم أر أي جلو يخرج من شقوق الجروح التي في بطونهم؛ ليسدّها. بقيت الجروح تنزف. حاولتُ أن أفكّر بسبب هذه المشكلة. قلتُ ربمّا الجلو بقي في أجسامهم؛ لأنهم عندما أكلوه كانوا جائعين زيادة عن اللزوم. لكني لم أكن متأكداً من شيء. فقرّرتُ أن أسوّي المسألة مع البائع، وبالدليل القاطع. وفي زيارتي التالية إلى السجن، مررتُ بالدكّان. لكني لم أدخل. ظللتُ أنظر إلى البائع من مكاني على الرصيف، وعندما انتبه لي فتحتُ باب سيارته المركونة أمام الدكّان، وجلستُ فيها. كنتُ لابساً المريول. وفهم البائع أنني ذاهب إلى السجن، وأنني أريده أن يرافقني. كان عنده زبائن. صرفهم، وأغلق باب الدكّان، وقاد السيارة إلى السجن. طوال الطريق كان يحاول أن يتذكّر إن كان قد فعل شيئاً سيئاً بحقّي. لكنْ؛ بما أن السجن قريب من بيتنا، فلم يكن أمامه وقت لذلك. عندما وصلنا صفعه عمّو العريف على وجهه؛ ليسايرني. صار البائع يرتجف. فصرخ به عمّو العريف، ثمّ أخذتُه، ووضعتُه أمام الأولاد في الحبس. كنتُ أريده أن يلاحظ الانتفاخ في أجسامهم، وأن يستنتج بنفسه أن الجلو الذي يبيعه لا يعمل كما يجب. "أرأيتَ؟"، قلتُ له. هز رأسه. سوى ذلك، لم يفعل أي شيء آخر مفيد. بعد أن خلاه عمّو العريف يغادر، أقفل دكّانه، وغادر الحي هو وأولاده وزوجته. ولم نره بعد ذلك.

كانت تلك آخر زيارة قمتُ بها إلى السجن. الأولاد بدوا في حال بائسة. مع ذلك، فإنهم عندما رأوني، رفعوا كنزاتهم بطيبة كاشفين عن سرّات بطونهم. وأنا حيّيتُهم بالطريقة نفسها. عندما فعلوا ذلك، رأيت أن الجروح التي في أجسامهم قد اتّسعتْ، وهي ملتهبة وتنزّ. بعد ذلك لعبنا بكرباج الورق، لكننا لم نُطَوِّل في اللعب. ذلك أن الأولاد لم يكن باستطاعتهم أن يضحكوا لفترة طويلة. كان واضحاً أن شعورهم بالجروح التي في أجسامهم يتعاظم كلّما أطلقوا ضحكة. يضحكون قليلاً، ثمّ يقرفصون طلباً للراحة. لهذا أوقفتُ اللعب، وبعد أن أدخلوا أيديهم المرتعشة في جيوب المريول، وأخذ كل كل منهم حصّة من بودرة الجلو، رجعتُ إلى البيت. وآلمني أن أراهم

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

...س. فقد كنتُ الآن صديقاً حميماً لهم. أتصرّف مثلهم في كل شيء. ...ى إنني في الآونة الأخيرة بتُّ أدخل معهم طرفاً في المبارزات بالسكاكين. ...و العريف هو مَن أقنعني بذلك. والأولاد كانوا يتركونني دائماً أغزّهم ...السكّين، وأفوز. مع ذلك ظلّوا يقولون لي بعد كل مبارزة "أنا أحبّكَ كثيراً". ...مّو العريف قال إنه من الأفضل ألا آتي إلى السجن من الآن فصاعداً. وأنا ...لي أظلّ أتذكّرهم، صرتُ أحمل سكّيناً طوال الوقت. وأحياناً عندما أتذكّرهم بشدّة، أندفع وأتبارز مع "صخرة" الذي صارت تنتابه نوبات استفراغ، كلّما فعلتُ ذلك، ويعضّني بكراهية وشراسة. وأنا أعدّه كلباً بغيضاً.

عمّو العريف بعد أن انتهى من الرجل الذي فجّر حقيبته، عاد يزورنا في البيت بانتظام. يجلس مع ماما ويثرثر. قال إن الأولاد سيخرجون من السجن. يوماً ما. ربمّا أحياء، وربمّا لا. وإن أحداً لا يبقى في السجن إلى الأبد. ثمّ ضحك. لم أفهم كل ما تفوّه به، لكنني ظللتُ أرسل لهم معه بودرة الجلو. وأحاول كلّما سنحتْ لي الفرصة بأن أقلب سرّة بطني إلى سرّة من الجلو. أتذكّر بأنني فكّرتُ في أن أخبر هذه القصّة للأولاد حين يصير بمقدوري لفظ كل الكلمات - قلتُ لنفسي، إلى أن يصير بمقدوري لفظ كل الكلمات، سيكون عمّو العريف قد أخرجهم من السجن.

التبارز مع جنّيّة بالسكاكين

أحد الأولاد في زيارتي الأخيرة أهداني سنّاً من أسنانه. كان يريد أن يكون شيء ما منه عائشاً خارج السجن. فخلع بإصبعه أحد أسنانه المَرخوّة التي تلّقى عليها ركلة بجزمة أحد الجنود. وأنا أخذتُ السّنّ إلى البيت، وخبّأتُه في بطن سمكة السردين الصغيرة التي في البراد. لم يكن لديّ أحد أكلّمه إلا "صخرة". لكنْ؛ كان عليّ؛ لأن أجعله ينطق أن أُحدث ثقباً جديداً في أذنه. و"صخرة" بعد أن فعلتُ ذلك، أخذ يدور في الغرفة، ويحكّ رأسه بالأرض، ويعوي عليّ. لقد كان يحكي معي. وأنا سمعتُ "صخرة" يقول وهو يتألم إن الجنّيّة التي تأتي في الليل وتأخذ الأسنان لن تجرؤ على

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

فتح البراد وأخذ السّنّ؛ لأنها إذا فعلت ذلك سوف يتجمّد جناحاها. استلقيتُ على السرير، وانتظرتُ تلك الليلة وصولها من القمر؛ حيث تسكن هي وكل رفيقاتها الجنّيّات. انتظرتُها أولاً وأنا مستيقظ، ثمّ أكملتُ انتظارها وأنا نائم. إلا أن الجنّيّة لم تصل. قلتُ أول ما تأتي، سأعقد معها اتفاقاً. فأنا لن أسلّمها السّنّ إلا إذا وعدتْ بأن تجعلني أصير طفلاً من الجلو. قد تفقد أعصابها، لكنني سأبقى هادئاً أمامها، ما عدا إذا أخرجَتْ سكّينها. عندها سأتناول السكين من جيبي، وأتبارز معها. نتبارز بالسكاكين لدقائق، ربمّا عشر دقائق أو أكثر، وبينما نفعل ذلك، سأكون واضعاً إصبعي كل الوقت على فمي منبّهاً الجنّيّة بأن لا تُصدر صوتاً. فلا أنا ولا الجنّيّة نريد أن تفيق ماما أو عمّو العريف أو أبي في تلك اللحظة. خصوصاً ماما؛ لأنني جرّبتُها مراراً في هذا المجال. حين أزعق وأنا نائم خوفاً من الكابوس، تدخل غرفتي بالبارودة، تأمرني أن أستلقي على بطني في السرير ووجهي في الفرشة، ثمّ تنقرني بالبارودة في عنقي من الخلف قائلة إذا لم أخرس، فسيحدث شيء سيّئ، سيّئ للغاية. وبعد أن تغادر، أستعير المريول من "صخرة" وهكذا. لذلك سيكون مفضّلاً أن نظلّ صامتَين أنا والجنّيّة ونحن نتبارز بالسكاكين. ولأنني عندما أحمل السكّين يبدأ رأسي يتذكّر الأولاد، فيدبّ فيَّ نشاط غريب، ولا أتعب مطلقاً، فستشعر الجنّيّة بالإحباط، وتقبل في نهاية الأمر بأن تسحرني إلى طفل من الجلو. لا خيار أمامها. هي في حاجة لأكبر عدد ممكن من الأسنان. فكلُّ سنّ يسقط من فم طفل، فيه روح صغيرة. أنا أعرف ذلك. "صخرة" قاله لي. والجنّيّة تجمع أسنان الحليب من البيوت؛ لأنها تريد استعمال الروح التي في داخلها لاحقاً. ذلك أنه كلّما نظر إنسان شرّير إلى القمر، تنفجر الزائدة الدودية في بطن جنّيّة من الجنّيّات هناك، فتوشك أن تموت. لذلك فإن الجنّيّات الأخريات يسارعن لزرع الروح التي في السّنّ مكان روح الجنّيَّة المريضة؛ لتستيقظ من جديد، وتستعيد عافيتها.

كنتُ آمل أن يحدث كل هذا. لكن الجنّيّة لم تأت. ليس لأن الأشرار

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

توقفوا عن النظر إلى القمر، فالقمر للجميع، وإنما لأن كل الجنّيّات لم يكن يهنّ أية واحدة مريضة في تلك الليلة. أو ربّما حدثت الحرب في كل الأرض، وهزّات الانفجارات كانت كبيرة، فأوقعت كل أسنان الحليب من أفواه الأطفال. لذا؛ قد تكون الجنّيّة أخذت كل ما يلزمها من الأسنان. ولن تأتي من أجل السّنّ إلا عندما تصير بحاجة إلى روح جديدة. أخذت أردّد في نفسي "هذا معناه أن الجنّيّة ستعود. هذا معناه أن الجنّيّة ستعود"، وهو ما جعلني أفكّر باسترجاع السّنّ من بطن السردينة، وادّخاره. لكن ماما طبخت سمكات السردين كلها، والتهمتها هي وعمّو العريف دون أن يلاحظ أيّ منهما أنه كان في بطن إحدى السمكات سنّ حليب. كانا يأكلان بسرعة وعصبية، ولم أتمكّن من اعتراضهما في الوقت اللازم.

التفّاحة لا تسقط عن الغصن نفسه مرّتين

هذا ما كنتُ أقوله دوماً لنفسي،"التفّاحة لا تسقط عن الغصن نفسه مرّتين ". دون أن أعرف ما علاقة ذلك بي. لقد حاولتُ كثيراً أن أجد النهاية التي يصبح بها المرء طفلاً من الجلو دون أن أُفلح في ذلك. وددتُ أن يحدث الأمر قبل خروج الأولاد من السجن. وأن أرفع كنزتي أول ما أراهم، وأتركهم يغرّونني بسكاكينهم، ويلاحظون بأنني لا أنزف؛ لأن الجلو يخرج من شقوق الطعنات، ويسدّها. لكنني أخفقتُ.

مات عمّو العريف بعد أن ابتلع سنّ الحليب بأيام. كان السّنّ مُسمّماً. سمّمه الولد عبر أحد معارفه من الجنود. كان عمّو العريف جالساً عندنا في البيت، وأنا رحتُ فجأة أنظر إلى أذنيه دون توقّف. لم أزح عينيّ عنهما. وعلى ما يبدو، فإن ذلك جعل عمّو العريف غير مرتاح. بل إنه قال لماما "أشعر بالهلع". ثمّ حدجني بتلك النظرة التي تقول "أرجوكَ، كفى"، لكني لم أتجاوب. بعدها بدقائق أصابتْه نوبة استفراغ طويلة. دخل إلى الحمّام، وظلّ يستفرغ في المغسلة إلى أن مات. ماما لم تفهم شيئاً، حتّى أبي خرج من غرفته، وبدا مرتبكاً ومتفاجئاً. فعمّو العريف بعمره ما كان مريضاً إلى هذه

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

الدرجة. وأنا وقفتُ عند باب الحمّام، وكمّلتُ عليه. كان ذلك خارج إرادتي. لكن التحديق في أذني شخص وهو يستفرغ شيء مقرف للغاية. حتّى إنني لم أتمالك نفسي، فتركتُ فمي مفتوحاً، وخلّيتُ بصقةً تنزل على سجيّتها. أما ماما؛ فقرّبت في لحظة ما من عمّو العريف في الحمّام. لكنه دفشها بيده. ثمّ سقط في أرضه ومات. لم يكن لديه وقت حتّى ليخرج من الحمّام. اختنق باستفراغه، وسقط على أذنه. بدا ذلك كالصور الفورية. أنت لا تميّز شيئاً في البداية، ثمّ تتضح الصورة، وتدرك أن ما تراه هو أنّ ثمّة أحداً ما ميتاً في حمّامكَ. ماما كانت تحبّ عمّو العريف كثيراً. وأخذت تُتأتئ. رغم أن عمّو العريف كان يضربها بشدّة عندنا في البيت. أكون متواجداً قربهما، وما إن يبدأ شجارهما فجأة حتّى تصرخ بي أن أدخل غرفتي. وأنا لا أقول شيئاً، بل أدخل وأتمسّك بـ"صخرة" جيداً، وأعصره وعيناي مغمضتان. ثمّ أسمع صراخها، وهي تتلقّى الصفعات. أبي لم يكن يتدخّل بين ماما وعمّو العريف. فقد راق له أن يضرب عمّو العريف ماما. يكتفي بالوقوف عند باب غرفته، ويتنصّت عليها، وكيف أنها تتوسّله بأن يكفّ عن ضربها. "شرموطة"، كان أبي يقول، ويدخل إلى غرفته. لم أذكر الموضوع من قبل؛ لأنه لم يقدّم أي شيء مهم بالنسبة لي. لكنْ؛ عندما ضربها عمّو العريف في المرّة الأخيرة، لم أدخل إلى غرفتي. بقيتُ واقفاً، ورأيتُ كل شيء. صحيح أن شعوري بأن لا دَخْلَ لي بالأمر كان نفسه ككل مرّة، لكنْ؛ بينما كان عمّو العريف يضرب ماما هذه المرّة أخذتُ أحدّق في أذنيه. وجدتُ نفسي منجذباً إليهما بصورة غريبة. شعرتُ بأنني رأيتُ هاتين الأذنين من قبل. وفوراً ذهبتُ إلى غرفتي. وبينما ماما تصرخ في الخارج وعمّو العريف يضربها، رحتُ أفكّر وأفكّر إلى أن أدركتُ أن المكان الذي رأيتُ فيه أذني العريف من قبل، هو رأسي. لقد كان لدينا شكل الأذنين نفسه.

ماما لم تشأ أن تنتهي سمعة عمّو العريف بهذه الطريقة. فهو ضابط في السجن، وسيكون مخجلاً أنه مات باستفراغه. ذهبتْ، واتّفقتْ مع شبّان بأن يأتوا لاحقاً، ويختطفوه من عندنا، ثمّ بعد أيام يفجّروه في مكان قريب

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

من بيتنا. عندما عادت ماما إلى البيت، كانت تحمل في يدها كيساً فيه حزام ناسف. ثمّ وصل الشبّان بعد ماما بوقت. كانوا أربعة. غسلوا عمّو العريف بسرعة على طاولة المطبخ، ثمّ ربطوا الحزام الناسف حوله. بعد ذلك نقلوه إلى الفان. وضعوا في رأسه كيساً أسود؛ كي لا يلاحظ أحد بأنه ميت، ورفعوه على قدميه، وراحوا يلكمونه لإحداث بعض التورّمات في وجهه. كانوا ملثّمين، ومعهم مسدّسات. لكنْ؛ ما إن ابتعد الفان قليلاً في الشارع حتّى دوّى انفجار هائل، فالحزام الناسف الذي أحضرتْه ماما كان يحوي انفجاراً صغيراً. حتّى لا تتشوّه جثّة عمّو العريف. لكنْ؛ يبدو أن الشبّان كان بينهم وبين عمّو العريف ثأر. ورغم كون عمّو العريف ميتاً، إلا أنهم وجدوا في ذلك فرصة للانتقام.

ماما خائفة وحُبلى

جثّة عمّو العريف بقيت متناثرة في الشارع لأيام. لم يبدُ أحدٌ مهتماً بلَمّ ما تبقّى منها، كذلك لم تظهر أية سيارة إسعاف لجَمْعها. لقد تغيّر شيء ما في الحياة منذ أن انفجر عمّو العريف إرباً. صارت الشوارع أوضح، والناس أفسحوا المجال، وذهبوا إلى بيوتهم، ولم يعد الجيش يأتي، وهناك مسلّحون منتشرون. كما بتْنا نسمع إطلاق رصاص قريباً بعيداً. كانت ماما خائفة. خائفة وحُبلى. ولم تعد تذهب لتنظيف غرف التعذيب في السجن. بل إنها فوراً أخرجتْ البارودة من الخزانة، عبّأتْها، وحملتْها. صارت البارودة تلازمها طوال الوقت في البيت. تمشي وهي تمسكها بيديها الاثنتين. كما تظلّ تصوّبها نحو باب الحمّام في أثناء جلوسها على كرسيّه لتبوّل. وعندما تريد أن تُبدِّل ثيابها في الليل، تنادي عليّ، فآتي وأرفع البارودة فيما هي تخلع صدريّتها خلفي. ثمّ تقف، وتُصوّبها على الأكواريوم الذي بداخله أسماك صغيرة، بينما يكون أبي مغطساً قدميه فيه. تتخيّل أن أكواريوم السمك سينفجر. وأبي لا يقول شيئاً سوى "لقد مات، يا مدام. مات، ولن يعود". عمّو العريف هو مَن أحضر أكواريوم السمك لأبي. وضعه في غرفته،

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

وقال له "تسلّ بهذه الأسماك، ولا تخرجْ من غرفتكَ أبداً. إيّاك أن تموت واحدة منها". كان في الأكواريوم ثلاث سمكات ذهبيات. وصار أبي مضطراً للاعتناء بالسمكات رغم مرضه. كان عمّو العريف يدخل غرفته أحياناً؛ ليتأكد من أنها على قيد الحياة. بالطبع أبي لم يجرؤ على تغطيس قدميه في الأكواريوم إلا بعد موت عمّو العريف. بدا سعيداً وهو يقوم بهذا، كما لو أنه يسمع موسيقى. يكون جالساً على حافة السرير والأكواريوم على الأرض. ويقول إنه يفعل ذلك كعلاج لقدميه؛ كي يصبح قادراً على المشي؛ لأنه سيتحتّم علينا الهرب قريباً، ولن يكون هنالك أية وسيلة سوى السير على الأقدام. ثمّ يضحك ويسعل ويبصق وهو يردّد "إنني فعلاً أتسلّى بالسمكات". وماما كلّما سمعتْ أبي يقول هذا وهو مغطس قدميه في الأكواريوم تتشاجر معه، وتُهدِّد بإنهاء حياته بالبارودة.

بدا واضحاً أن وجودي غير متّفق عليه بين ماما وأبي. ماما كانت تريد الانتقال من البيت. وأبي لم يكن يريد أن أذهب معها. ثمّ همس في أذني "إذا قلتَ لماما 'أنا لا أحبّكِ، يا ماما، وأريد أن أبقى مع أبي' وأنت تصوّب البارودة عليها، فسأغلي لك إبريقاً من الجلو". وأنا لم أصدّق ما سمعتُه. انتظرت حتّى الصباح التالي. أي عندما طلبتْ مني ماما أن أحمل البارودة ريثما تُبدّل ثيابها، استدرتُ مصوّباً السلاح عليها. كانت ماما تلبس صدريّتها، ورأيتُ ثدييها. قلت "أنا لا أحبّكِ، يا ماما، وأريد أن أبقى مع أبي". ثمّ ذهبتُ، ووقفتُ أمام غرفته. لكن أبي كان مستغرقاً في نوبة سعال، ولم يكن قادراً على الخروج إلى المطبخ. ماما دخلتْ إليه غاضبة، وغرّت البارودة قرب فتحة أذنه، وأطلقت النار. عندما سمعتُ صوت البارودة أومضتْ في بالي صورة أذني أبي. لم يكن لأبي أذنان مثل أذنيَّ. وشعرتُ بأنني بحاجة لأن أنطلق. أن أركض بسرعة، وأن أرى عمّو العريف، حتّى وإن كان مجرّد أشلاء. لا أعرف لم شعرتُ بحاجة إلى أن أكون قريباً منه. لكنني خرجتُ من البيت، ورحتُ أركض في كل الشوارع وفروع الطرقات، إلى أن وصلتُ إلى مكان انفجار الفان.

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

عمّو العريف في داخلي

كانت الشوارع خالية تقريباً. رغم ذلك شعرتُ أنها تضيق عليّ، ويطردني هواؤها، كما لو أنني أمشي داخل شقّ في صفّارة بلاستيكية في فم ولد أو كلب. بقايا جثّة عمّو العريف كانت لا تزال متناثرة في المكان. شعرتُ بذلك. شعرتُ بأن الرائحة التي أشمّها هي رائحتها. وكان هناك جرذان وقطط. رأيتُ قطّة تعلك بأسنانها عين عمّو العريف التي اندلق منها الجلد المدمّى والشرايين، ثمّ تستفرغها قبل أن تشمّها من جديد، وتعيد الكرّة. حاول منظر القطّة عندما نظرتُ إليها أن يُدوِّخني كُلّيّاً، لكني لم أقبل. وما إن قرّبتُ أكثر حتّى رأيتُ الأولاد. أولاد الزنزانة. كانوا متحلّقين حول أشلاء عمّو العريف. بدا كأنهم تجسّدوا أمامي فجأة، لكنْ؛ بوضعية القرفصاء. مثل أنهم خرجوا من الانتفاخ في أبواب المحلات المعدنية الجرّارة. نقزتُ. لم أعرف أن الأولاد خرجوا من السجن، ولا أعلم لماذا لم أشعر بالارتياح لوجودهم طليقين. لاحظتُ أنهم نقصوا عدداً، وأنهم مُنوّمون مغناطيسياً بالأشلاء. كان كل منهم يحمل سكّيناً، ويفرم قطعة من أشلاء عمّو العريف. واحد منهم قال لبقية الأولاد "لقد جاء". بدا أنهم غير سعداء بوجودي. عرفتُ ذلك لأن لا أحد منهم رفع كنزته لي كاشفاً عن سرّة بطنه. كما أنهم بدوا أكبر سنّاً من أن يكونوا مجرّد أولاد، بسبب أن بعض أسنانهم كان مُقتلعاً من مكانه. تقدَّم مني أصغرهم، وأنا رافع كنزتي كاشفاً عن سرّتي، وسدد لكمة على بطني. ثمّ أخرج سكّيناً من جيبه، وقال شيئاً من قبيل "فلنتبارز كما كنا نفعل في السجن، لكنْ؛ هنا، على جثّة العريف ابن القحبة. أنتَ لن تربح من الآن فصاعداً". وأنا لم أفهم ما الذي قصده الولد الصغير. لكنْ؛ قبل أن أُخرج كل سكّيني من جيبتي، تمكّن من أن يجرح سرّتي بسكّينه مُحدثاً في جسمي فتحة جديدة. وكانت الفتحة تقول إن الأولاد مستاؤون لأنني أرغمتُهم على مضغ بودرة الجلو في عزّ عطشهم في السجن. وإن عمّو العريف استعمل سذاجتي لتعذيبهم. لم أعرف ماذا أجاوب، فرحت أفركُ رأسي دائرياً، كما لو أني أقول "هذه ليست وجهة نظري، هذه ليست

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

وجهة نظري". لم أتوقّف عن ذلك إلا عندما صفعني واحد من الأولاد على خدّي وهو يقول "كُلّ خراء". ثمّ مدّدوني على ظهري، ونزعوا بنطلوني، ورفعوا ساقيّ عالياً. أظنّ أنني كنتُ أبكي، وربمّا صرّخت كثيراً. مرّ مسلّحون بجانبنا، لكنْ؛ لا أحد منهم فعل شيئاً لإيقاف الأولاد الذين كان معهم عضو عمّو العريف وقد أخذوا يحشونه بقطع مفرومة من أشلائه، حتّى انتفخ. واحد من الأولاد بصق على ثقب مؤخّرتي. ثمّ أدخلوا بالقوّة عضو عمّو العريف في مؤخّرتي، استخدموا مقبض أحد سكاكينهم، وأخذوا يدفعون حتّى اختفى عضو عمّو العريف وأشلاؤه في داخلي بالكامل. ولم يعد بإمكاني إخراجه. هنا توقّفتُ عن بَرْم رأسي في كل الاتجاهات شاعراً بتعب هائل. كان فمي الآن مغسولاً بمخاطي ودموعي. وكان هناك ألم بين فخذي ودماء. قالوا لي وهم يفعلون ذلك إن ماما كانت مُكلّفة بتعذيب أمّهاتهم في السجن، وإن ما فعلوه بي للتوّ هو تماماً ما كانت ماما تفعله بأمّهاتهم مستخدمة عصا لُفَّتْ عليها أسلاك معدنية. عرفتُ منهم الآن أن هذه مهنتها. وأنني من المال الذي تتقاضاه كنتُ أشتري علب الجلو. وعندما انتهوا من هذا كله، ألبسني اثنان منهم البنطلون، وساعداني على النهوض، قائلين إنهم لا يريدون رؤيتي بعد الآن. وأنا مشيتُ قليلاً، وتوقّفتُ. كان فخذاي يؤلمانني وثقب مؤخّرتي أشعر فيه بوجع أيضاً وحكاك؛ لأن الأولاد سدّوه بعد أن فعلوا ذلك الشيء بي، ببودرة الجلو التي احتفظوا بها في الزنازين. أحد الأولاد دفعني بيده من الخلف طالباً مني مواصلة المشي، وأنا كنتُ أفكّر بأذني عمّو العريف فقط. إنهما مطابقتان لأذني، وذلك علامة على سرّ. كان الأولاد يتهامسون خلفي. وأنا أردتُ لو يكفّوا عن الكلام، ويدعونني وشأني قليلاً؛ لأنني أريد البحث عن أذني عمّو العريف. لكن أذني العريف المفرومتين كانتا الآن أيضاً في داخلي. ووجدتُ نفسي أضع يداً على ثقب مؤخّرتي، ويدي الأخرى على الفتحة الجديدة في سرّتي. وهذه الفتحة أخذت تزعق الآن "ألم ألم"، كما لو أن رأس "صخرة" سيندفع منها.

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

عندما عدتُ إلى البيت، ماما لم تشعر بي. كانت لا تزال في الغرفة تتكلّم مع أبي الذي كان جسمه ممدّداً بلا حراك في السرير، لكن قدميه مغطستان في أكواريوم السمك. كانت لا تزال مصوّبة البارودة إليه، وأبي ميت بالطبع، وهذا واضح. لكنْ؛ وأنا أدخل البيت وجدتُ إبريق الجلو موضوعاً على الفرن في المطبخ. فهمتُ أن أبي أراد أن يجعل من إبريق الجلو مفاجأة لي، وأنه فعل ذلك قبل أن تصيبه نوبة السعال، فيعود إلى غرفته، ثمّ تُطلق عليه ماما النار. دخلتُ غرفتي، ونزعتُ المريول عن "صخرة" الذي ارتجف عندما رآني ألمس خرّامة الورق، كما لو أنني أودّعه. كان بودّي أن أخرم إحدى أذنيه لآخر مرّة. لكن الألم في سرّتي وثقب مؤخّرتي جعلني لا أركّز كفاية لإيجاد مكان في أذنيه لذلك، كما أن الألم في جرحي ذلّني أمام "صخرة". لسعتُه بكرباج الورق، كما لو أنني أقول له "لن أقول لك إلى اللقاء بعد الآن". ثمّ لبِستُ المريول؛ كي أموّه دم سرّتي بدم الأولاد المبقّع عليه. وعدتُ إلى المطبخ، سحبتُ الكرسي المخصّص لي. وقفتُ عليه، ونظرتُ إلى سطح الجلو. كان مفتاح الفرن مُداراً، لكنْ؛ لا غاز. يبدو أن أبي لم يكن يعلم أن قنّينة الغاز كانت منتهية. وبعد أن وضع الإبريق والماء وبودرة الجلو أشعل الغاز، ثمّ عاد إلى غرفته، لكن النار انطفأت بعد وقت قليل فقط. ابتلعتُ جرعة هواء، ثمّ أنزلتُ رأسي ببطء في الإبريق، محاولاً بكل قواي أن أجعل جسدي يمتلئ بالجلو وينسدّ. كان الجرح في بطني فرصتي الوحيدة لأن أعرف إن كان الأمر سيحدث أم لا. كنتُ في تلك اللحظة مكتئباً بسبب ما فعله الأولاد. والظروف قد لا تُتيح لي مرّة أخرى أن أكون مكتئباً إلى هذا الحدّ الذي يمنحني شجاعة إدخال رأسي في إبريق. ثمّ، ومع نفاذ الجلو إلى رئتيّ بدأتُ أنسى تدريجياً كل ما عرفه رأسي عن الأولاد وعمّو العريف وموت أبي، وفقدت علاقتي شيئاً فشيئاً بماما و"صخرة" وكل الحوادث التي وقعتْ لي. كانت ماما لا تزال تكلّم أبي، وتشتمه، وتُصَوِّب نحوه البارودة.

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

ملحوظة أخيرة

أريد أن أزيد شيئاً، وهو أنني أول ما أصبح رأسي داخل إبريق الجلو، أدركتُ بأني لم أكن وحدي. فالأولاد مشوا خلفي حتّى وصولي إلى البيت. كانوا واقفين عند الباب. وسمعتُهم يحفّون سكاكينهم ببعضها، كما لو أنهم يقولون لبعضهم "حظّاً موفقاً"، ويتهيّؤون لدخول الغرف، والبحث عن ماما. كنتُ قادراً على الشعور بخطواتهم لبرهة فقط، فيما رأسي محوط بالجلو الذي راح ينفذ إلى أعماق رئتي، ويمنعني من السعال. هذا قبل أن يصمتَ كل شيء، وأدركَ أنني لم أعد قادراً على تمييز ما يحدث من حولي. ما عدا أنني في لحظة ما، شعرتُ بخوف هائل يدبّ فيّ، فحاولتُ جاهداً بأن أجعل جسدي كله يهرب إلى داخل الإبريق، فرحتُ أنفض ذراعيّ وجسمي، وأرتعش. تلك كانت آخر رغباتي. حتّى إن الأيدي التي شعرتُ بأنها أمسكت برأسي بإحكام أول ما أنزلتُه في إبريق الجلو، أخذتْ تحاول مساعدتي على ذلك.

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

كلب عيدان الكبريت

الكلب الحارس للمنزل الذي أقطن إحدى غرفه في الآلب، أعمى. هو تقريباً كذلك. ثمّة درنة في عينه اليسرى، بلون الجفن، وهي تتدلّى إلى الخارج بشكل ملحوظ، كما لو أنها دمعة ضخمة، ويمكنك أن ترى من خلالها بعض الشرايين الصغيرة التي تنبض. لكن الدرنة تؤثّر على كلتا عينيه، ولن يفيد استئصالها. الكلب في طريقه إلى فقدان البصر كُلّيّاً. والمسألة مسألة أيام. كما إنه عجوز. وبالكاد يستطيع النهوض حين يقترب المرء منه. لكنه يبذل جهداً، جهداً كبيراً بالفعل في كل مرّة. ولا يفلح في أن يقف إلا بعد أن تكونَ فركتَ وبره على سبيل الشفقة، وتجاوزتَه، وأوشكتَ أن تدخل باب المنزل الرئيس. عندها، تلتفتُ نحوه، وأنت توشك على إغلاق الباب، فيسدِّد لكَ تلك النظرة التي تقول "لا تتركني هنا" أو "اصطحبني معك إلى داخل المنزل" أو حتّى "خبِّئني في غرفتكَ". نظرة بأكثر من معنى. ولا تعرف بالتحديد مغزاها. كنظرات الكلاب جميعها. أعني، تلك الكلاب التي ترى بشكل سليم. وتقفز وتعوي وتلاعب الأطفال. لكنْ؛ لا أطفال هنا. أنا أصغر المستأجرين. أصغر سنّاً حتّى من الكلب نفسه. لذلك فإنه يعاملني كطفل. يهزّ ذيله المنهك متظاهراً بأنه فَرِحٌ بكل ما أقدّمه له، حتّى ولو كان تفّاحة مسلوقة.

إديث السبعينية صاحبة المنزل، تلاحظ اهتمامي بالكلب. حسناً، اهتمامي المصطنع. فأنا أبذل جهداً، جهداً كبيراً بالفعل في كل مرّة. أقف عند الكلب برهة، كلّما عدتُ إلى المنزل، محاولاً ألا أنظر إلى الدرنة. أغمض عينيَّ، بل وأتمنّى لو كان بصري ضعيفاً فعلاً، دون أن تكون لي درنة بحجم

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

دمعة ضخمة طبعاً، وألامس وبر الكلب بيدي، مبتسماً بعصبية وعلى سبيل الحيطة أيضاً. فلربّما هناك شخص يراقبني من مكان ما، إديث مثلاً. لذلك عليَّ أن أبدو لطيفاً. الدرنة في الحقيقة تثير توتّري، وعليّ أن أقول، اشمئزازي. وحين أصعدُ إلى غرفتي، أتجه فوراً إلى الحمّام؛ لأغسل يديّ جيداً بصابونة زيت زيتون، أحضرتُها معي من تونس. وفي إحدى المرّات، أُصبتُ بنوبة هلع "panic attack".

إديث تلاحظ بأنني بدأتُ أسرقُ التفّاح من الحقول المحيطة بالمنزل. كل يوم أدخل حقلاً، وأسرق تفّاحة. تفّاحة واحدة فقط. لكن الأمر يستغرق مني وقتاً طويلاً، على الرغم من وفرة الحقول حولي. ذلك أن على التفّاحة المسروقة أن تكون مستديرة تماماً وطريّة، ككرة عجين. لقد فكّرتُ ملياً بالأمر. وسوف يناسبني أكثر أن ألاعب الكلب من مسافة ما، بدل أن أضطر للمسه.

لم أكن أعرفُ بعد أن الكلب شبه أعمى. وصرتُ كلّما وصلتُ المنزل، أُكرِّج التفّاحة مباشرة نحوه؛ لأنه لا يستطيع النهوض، والحيلة تنجح ما دمتُ طفلَهُ. في اليوم الأول، استقبل الكلب التفّاحة بحبور، لكنه عجز عن إدخال أسنانه فيها. فصرتُ أسلقُ التفّاحة المسروقة في كل مرّة قبل دحرجتها باتجاهه. حدث هذا لثلاثة أيام متتالية. وفي اليوم الرابع استوقفتْني إديث. وسألتْني إذا كنتُ قد انتبهتُ للكلب. جاوبتُ ممازحاً "طبعاً. هل تحسبينني أعمى؟". فقالت "أعني هل انتبهتَ أن الكلب أعمى؟"، فارتبكتُ، أصبتُ بالإحراج، وحاولتُ أن أبتسم بلباقة. أخبرتْني بأنها لا تمزح، وأن المسألة مسألة أيام قبل أن يفقد الكلب بصره كُلّيّاً، وأن التفّاح لابد أن يكون قد ساهم في زيادة عماه، بسبب احتوائه السّكّر. ثمّ قالت لي "أنت تبالغ باهتمامكَ بالكلب. لا داعي لكل هذا". تبادلنا يومها حديثاً قصيراً. إديث ألمانية. تعدّ نفسها كذلك. لكنها تحمل الجنسية الإيطالية فقط. في الحرب العالمية الأولى، استولى الطليان على هذا الجزء، وضمّوه. قالت لي "أنتَ من الشرق الأوسط إذنْ! لا بد أنك شهدتَ فظاعات، ورؤية كلب ينفق، ليست أكثر من مسألة تافهة الأهمّيّة بالنسبة لكَ".

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

لا أقول لإديث إنني وأنا صغير، كان عندي كلب. كان وديعاً. اشتراه أمّي وأبي جرواً في عيد زواجهما الأول. كان مثل كلب ابن العريف بأذنيه المثقوبتين دوماً بخرامة الورق. كنتُ أُدخل ذراعي النحيلة حتّى الكوع في جوفه، وأُسقِطُ عيدان الكبريت في معدته دون أن يحرّك ساكناً. كنتُ طفلَهُ. في الحرب، كانت عيدان الكبريت أكثر وفرة من الطعام. والكلب، مع شجارات أبي وأمّي المستمرّة، بدأ جسمه يجفّ. كانت له تلك النظرة أيضاً، التي بأكثر من معنى. وكان يُثبِّتُها عليّ، وأنا أدسّ في معدته المزيد من عيدان الكبريت. إلى أن فقد وبره، وتفسَّخ جلده بالكامل، فأصبح في نهاية الأمر كلباً من عيدان الكبريت. ولم يعد بإمكاني تحريكه من مكانه؛ كي لا ينفرط. فبقيتُ إلى جواره. حتّى انفجرت أول سيارة مفخّخة، فانفرط بسبب الارتجاج. عندئذ جمعتُه في مرطبان بلاستيكي، وحملتُه، ورميناه في البحر؛ لأن كلباً من عيدان الكبريت لا يمكن أن يغرق. لكننا عرفنا لاحقاً أن المرطبان انفجر بعد ملامسته للُغم مائي قريب، وأن عيدان الكبريت تطايرت فوق الماء ملتهبة جميعها في الوقت نفسه. لكن كل عود منها كان يُطلق صوت عواء صغيراً، وهو يحترق.

الآن، إديث تطلب مني أن أُسدي لها خدمة، أن أساعدها في قتل الكلب. علينا أن ننتظر بضعة أيام أخرى، حتّى يصبح أعمى كُلّيّاً، تقول. "لو كان ابني هنا، لما طلبتُ منك ذلك، لكنه ذهب إلى ميونخ لحضور مباراة كرة قدم، وسيعود بعد أسبوعين، لكنْ؛ لا يمكنني الانتظار حتّى عودته. فالظروف المناخية هذه الأيام مناسبة لقتل الكلب. وحرارة الهواء مثالية لتجفيف جثّته". فإديث لا تريد فقط قتل كلبها، بل تحنيطه أيضاً. تقول لي بلهجة آمرة بأن أثقب التفّاح بالإبرة من عدّة جهات، وأغليه في مياه مشبعة بالسّكّر؛ لأن هذا يجعل التفّاح أكثر حلاوة، ويسرّع من عمى الكلب. بعد أيام، وأنا أهمّ بدحرجة تفّاحة مسلوقة وبحلاوة المربّى، للكلب، يستوقفني صوت إديث من نافذتها. "لا داعي لهذه التفّاحة. لقد قُضي الأمر. صار أعمى كُلّيّاً هذا الصباح. الأفضل أن نُنفّذ قتله بعد الغداء". لكني أشعر أن

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

إديث تكذب. حين أقترب من الكلب، يُسدِّد لي تلك النظرة نفسها التي تقول "لا تتركني هنا" أو "اصطحبني معكَ إلى داخل المنزل" أو حتّى "خَبِّئني في غرفتكَ". ما يجعلني أشعر بسوء. أنا فعلاً لا أرغب في قتل الكلب، إلا أنني في النهاية أذعن للمرأة. أقول لنفسي "حرام أن نتركه هكذا".

بعد الغداء، نكون ثلاثتنا في حقل تفّاح قريب، ورثتْهُ إديث عن جَدِّها. تناولني مسدّساً قديماً من مخلّفات الحرب العالمية الأولى. "عليكَ أن تُسدِّد هنا. فتستقرّ الرصاصة الصغيرة في القلب، وتُذيبُه. لدينا رصاصة واحدة فقط. وعلينا إخراجها من الكلب بعد قتله، وإعادتها إلى المسدّس. فالمسدّس قطعة نادرة، ورصاصتُه كذلك. ومكانهما الدائم الفاترينة في غرفة الجلوس"، تقول. أصغي تماماً لإديث. لكنني بدل أن أنفّذ تعليماتها في اللحظة المطلوبة، أجد نفسي أرفع الكلب الأعمى فجأة في الهواء، وأهزّه بقوّة وبعصبية، آملاً في أن ينفرط إلى أعواد كبريت.

بعد ذلك، أنا لا أتذكّر شيئاً. لاحقاً، تخبرني إديث بأنني بعد أن رفعتُ الكلب، وهززتُه، أُصِبتُ بما يشبه الصدمة العصبية، ففقدتُ الرؤية لبعض الوقت. لكنني رغم ذلك، أصريتُ وبشكل مريب على قتل الكلب. فعادتْ إديث، وناولتْني المسدّس، وبأمّ عينها، تقول، شاهدتْ كيف أطلقتُ الرصاصة الوحيدة عليه، بل إنني كنتُ في غاية الدقّة رغم نوبة العمى التي كنتُ مصاباً بها. كنتُ سلساً وواثقاً كقاتل كلاب منزلية متسلسل. هذا ما تقوله إديث. أما أنا، وأعرف أن الأمر سخيف؛ فلا أملك إلا أن أفكر بأن نوبة العمى التي أُصبتُ بها، جاءت في الوقت المناسب، فقط كي لا أضطرّ للنظر إلى الدرنة، وأنا أقتل الكلب.

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

غاندي المارلبورو

أول فتاة أحَبَّها غاندي المارلبورو، لم يُقبِّلها في شفتيها أبداً. اكتفى بالإمساك بيدها في الشارع، كلّما خرجا أو جلسا على كنبة في المقهى، أو في غرفة بيتها. الفتاة كان اسمها ليليان. وكانت - في أغلب الأحيان - تلبس شورتاً قصيراً، يكشف طرفاً من ردفَيها. غاندي المارلبورو طبعاً لم يلمس شيئاً منهما. كان مهتماً فقط بالإمساك بيدها. وكلّما فعل ذلك كان يقول "أشعر بأن أظافري ستنفصل عن رؤوس أصابعي، وتطير في الهواء". ذلك أن غاندي المارلبورو لم يكن لديه شيء آخر ليقوله. هذا بالضبط ما كان يشعر به بالفعل، كلّما أمسك يدها: أن أظافره ستنفصل عن أصابعه، وتطير في الهواء. كما لو أنها أجنحة جنّيّات صغيرات، لا أكثر ولا أقل. أما ليليان؛ فكانت تكتفي بالتبسُّم. غاندي المارلبورو لم يكذب أو يبالغ، الحبّ بالنسبة له كان يتلخَّص بشعور أن الأظافر ستنفصل بلطف عن رؤوس الأصابع بسلاسة ودون أي ألم، وتحلّق في الهواء. وهو لم يرَ للأمر علاقة بالقلب إطلاقاً، لكنه، لكثرة ما كرّر على مسامعها بأن أظافره ستنفصل عن رؤوس أصابعه وتطير في الهواء كأجنحة جنّيّات صغيرات، كلّما أمسك يدها، اعتبرتْ ليليان أن الموضوع بات كليشيه. وبعد ثلاثة أشهر على بدء علاقتهما، انفصلتْ عنه. مباشرة بعد عطلة الكريسماس. ودون أن توضح السبب. ردّتْ له رسائله وكل هداياه. لا عبر صديقتها، بل عبر ساعي بريد عجوز، لم يره قبلاً. الرسائل والهدايا وصلتْه في كيس بعد أحد عشر يوماً على انتهاء علاقتهما. كان حزن غاندي المارلبورو قد ضمر قليلاً، وبات الآن أكثر تآلفاً مع واقع أنهما منفصلان وبعيدان عن بعضهما. لكنه بينما

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

كان يتسلَّم كيس أشيائه من ساعي البريد العجوز، وينظر إليها بشيء من الحسرة، وجد أن لا أظافر على رؤوس أصابعه. لم يكن هناك أيُّ أثر لأي من أظافره العشرة. كما لو أنه وُلِدَ أصلاً هكذا، بدون أظافر.

لم يكن اسمه بعد غاندي المارلبورو. بل إن ليليان لم تكن لتجرؤ على ردّ هداياه، لو كان ذلك هو اسمه في تلك الفترة. فهو لم يكتسب اسمه إلا بعد أن تقطَّعتْ أصابعه العشرة نصفياً بانفجار، دُسّ في معدن بوابة المدرسة. عقد العزم وقتها أن يُري جميع من في الحي أن له بعض المهارات أيضاً، وبأنه يستطيع أن يكون فرداً في الميلشيا. فتمرّن على استعمال الأنشوطة، بالطريقة التي يُمسكون فيها الخيول في الأفلام، في وقت كان كل مسلّح يريد الانضمام إلى الميليشيا يستعمل المسدّس على أقل تقدير. لكن غاندي المارلبورو بالطبع لم يكتفِ بالأنشوطة، بل إنه استعمل كذلك السلاح الحربي، ليس القصد المسدّسات، وإنما القنابل اليدوية - الرمّانات. وهذا لأنه أدرك أن بإمكانه أن يكون سريعاً في رمي قنبلة إلا أنه لن يكون سريعاً في إطلاق النار من مسدّس بتلك الأصابع المبتورة التي أثارت ضحك أطفال عابرين مرّة. وهذا ما عُرف عنه، أنه يقتحم الشوارع التي تسيطر عليها الميليشيات المنافسة، مستخدماً الأنشوطة والقنابل اليدوية معاً. وهما مزيج أثار فزع أكثر المقاتلين المنافسين شراسة. خصوصاً وأن غاندي المارلبورو كان خفيفاً، وكان بإمكانه لمس الرصاص الذي يُطلق عليه بالحبل، والحياد عنه، كما لو أنه يحيد عن خيط حرير.كأن الجيبين الصغيرتين في أعلى كُمّ ذراعيه مملوءتان بجنّيّات صغيرات يهتممنَ بحركته، وأنه لا بد أن يكون فعل شيئاً جيداً حيالهنّ؛ ليكافئنَه بهذه الطريقة.

أمّه هي التي أخاطت له الجيبين، ولم يعرف أحد لمَ فعلت ذلك. لكنها سمعتْه عندما كان فاقداً الوعي في المستشفى يهذي بكلمات، فهم منها "أظافر، جنّيات، ليليان". ويوم حدث انفجار المدرسة الذي كان ردّاً على

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

انفجار درّاجة في مدرسة أخرى خلف خطوط التماس، كان جميع الناس في التعاونية. لم يكن ثمّة ملاجئ في الحي، وكانت التعاونية العامّة في الطابق الثاني تحت الأرض هي ملاذ الناس الوحيد. والشبيبة حذّروا الناس من أن مَدّ اليد على أي شيء في التعاونية ستترتّب عنه عواقب وخيمة. وهكذا بقي الناس الجوعى مُختبئين بين علب الطعام والسّكّر والحليب دون أن يجرؤ أيّ منهم على لمس شيء. من بين الناس الذين كانوا في الملجأ، كان أبو غاندي المارلبورو. مخبر خبيث عمل لدى المسلّحين. كان مستعداً للوشاية بابنه مقابل علبة سجائر. دخّن المارلبورو المهرَّب من الولايات المتحدة. في تلك الأيام كنتَ إذا ما دخلتَ إلى أية دكانة لتطلبَ سجائر يسألكَ البائع "عادي أو تهريب؟" حتّى وإن كان في المحل كتيبة كاملة من رجال الشرطة. لكن أبا غاندي المارلبورو، لم يكن يفرّق كثيراً بين هذا وذاك، أما سبب طلبه "تهريب" فكان شعوره بأن السجائر آتية من بلاد دعاية المارلبورو التي لولاها، وأعني الدعاية، ما كان اهتمّ بالتدخين. هكذا صار اسمه مع الوقت أبو غاندي المارلبورو، كما زوجته التي كسبت كنية مارلبورو هي الأخرى بسعادة ظنّاً أن الأمر سيساعدها على مغادرة المكان في إحدى سفن اللاجئين. لكن الاسم انسحب أيضاً على غاندي، الذي كانت يداه في تلك الأثناء لا تزالان ملفوفتين بالضمادات، وكان في ذلك الوقت منشغلاً بالتفكير بالسلاح الذي سيقتنيه. لهذا لم يبذل مجهوداً كبيراً بعد ما تقطّعت أصابعه؛ ليقرّر أي سلاح سيتمرّن عليه. وبما أنه بات يحمل اسم مارلبورو، فقد جاءت الأنشوطة في الدعاية على مقاس حاله تماماً. لم يكن ينقصه إلا أن يوصي على الحبل الذي تحمّس شبان الميليشيا، وأمّنوه له.

عندما حدث الانفجار لم يكن من أحد في المدرسة أو في البنايات المحيطة. كان غاندي ممسكاً بسور البوّابة المفخّخة يفكّر بليليان التي اعتاد رؤيتها في الفرصة من مكانه ذاك. وقد التفَّتْ أصابعه على القضبان

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

المعدنية للسور، لكنه لم يجرؤ على دخول المدرسة؛ لأن ذلك موجع له. كان الانفجار مُتقناً. القضبان التي تمّ استبدالها تنفجر باتجاه دائري بغية أن يفقد الضحية، كائناً من كان، يديه معاً. يديه فقط. على غرار ما حدث في تلك المدرسة خلف خطوط التماس مباشرة، عندما انفجرت عبوة وُضعت في مسكتي درّاجة هوائية. لكن أصابع غاندي المارلبورو بقيتْ رغم الألم الذي اجتاحها ملتفّة على سور البوّابة، بل ذابت ملتحمة بحديد السور. وعندما وجدوه، كان غائباً عن الوعي إلا أنه كان مُعلّقاً بسور المدرسة من أصابعه التي بدت مثل أصابع غراء ناشف. قيل له إن أصابعه بترت نصفياً في المستشفى. الأصابع العشرة. ولم يعلم غاندي المارلبورو أن بقية أصابعه بقيت مُعلّقة على سور المدرسة وذائبة. وأنها انتهت في معدة فأر برتقالي، يصطحبه أحد المسلّحين دوماً معه.

في آخر عملية عسكرية لغاندي المارلبورو على خطوط التماس، كان يتقدّم مجموعة من الشبيبة الأصغر سنّاً منه. وكانوا يشنّون عملية لاستعادة المدرسة التي اقتُحمت، واحتُلت. وغاندي المارلبورو في اللحظة التي وجب عليه أن يرمي القنبلة اليدوية ثمّ يجهز على خصومه بالأنشوطة، فيربط واحداً منهم بالحبل، ويعود به على كتفيه العريضين كأسير معركة، أفلت القنبلة اليدوية ببساطة من يديه، فاستقرّت بين قدميه. والقنبلة كان صاعقها المنزوع لا يزال بين أسنان غاندي المارلبورو. هذه آخر معركة خاضها. وقيل إن الشبيبة الذين كانوا وراءه شاهدوا الأنشوطة بعد انفجار القنبلة تغزل في الهواء، وقد لفَّتْ على ما تبقّى من جسد غاندي المارلبورو قبل أن تهبط كتلة الأشلاء المشتبكة بالأنشوطة على سور المدرسة.

ليليان في تلك اللحظة كانت تحكّ ظهر صديقها الجديد في الباحة الخلفية لمنزل لجأت إليه عائلتها في الجبل. الجبل كان من الأماكن القليلة الآمنة في تلك الفترة. وغاندي المارلبورو في اللحظة التي نزع فيها صاعق

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

القنبلة اليدوية، شعر كما لو أن أظافره لا تزال على أصابعه المبتورة، وأنه يحكّ جسماً دافئاً، ففقد تركيزه، وأفلت القنبلة. وقال الشبيبة إنهم لم يروا مقاتلاً يُصاب بانهيار عصبي كهذا في خضمّ معركة ما. لكن غاندي المارلبورو بقي بطلاً في أعينهم. وبعد الحرب، كادوا يطلقون على المدرسة اسم متوسّطة غاندي المارلبورو المختلطة، لولا أن الاسم بدا غير مناسب. ففي النهاية، ليس كل الشهداء يحملون أسماء تليق بأن تُلصق بصروح أو مدارس أو مستشفيات.

وبالعودة إلى ذلك اليوم الذي أرسلت فيه ليليان له هداياه، فإن غاندي المارلبورو دفع بقشيشاً لساعي البريد، ونحّى جانباً الهدايا التي بدت الآن بالنسبة له تافهة وعديمة المغزى. ربمّا رماها ساهماً على أرضية المطبخ أو وضعها على الدرسوار. لا يتذكّر. فقد كان الأمر برمّته شيئاً لا يُصدَّق. بل مُقرفاً. لدرجة أنه شعر بخَلَل مُريع في توازنه. فاتّجه فوراً إلى الحمّام، وتقيّأ. ثمّ تقيّأ مرّةً أخرى عندما وقعت عيناه على مقص الأظافر الموضوع على حافة تحت المرآة. وبعد أن هدأ قليلاً، خرج إلى البلكونة، وانشغل بتأمُّلِ أصابعه المجرّدة من الأظافر تحت شعاع الشمس القوي والدافئ. كان مشدوهاً كما لو أنه يشاهد مقطعاً يتعلّق بأصابعه فقط من فيلم رعب صيغ من آلاف القصص لأناس لا رابط بينهم. حين تجرَّأ بعد دقائق، وجسَّ رؤوس أصابعه، لم يشعر بأي ألم. حتّى إن موضع الأظافر في أصابعه كان لا يزال صلباً. كل شيء في يديه بدا طبيعياً من الناحية البيولوجية. فقط لم يكن هناك أيُّ أظافر. هذا كل ما في الأمر. حاول أن يُهدِّئ من روعه بالقول "فقط، ليس هناك أظافر"، وإن الأمر مؤقّت، وإن أظافره ستُبرعم من جديد خلال أيام أو شهر أو شهرين كحدّ أقصى، لكنه كان يعرف تماماً أنه ليس بمقدوره الانتظار. فأن تنظر إلى أصابعكَ ولا تجد أظافر ليس وضعاً مريحاً على الإطلاق. وستدرك بأن عليكَ القيام بشيء ما، وحالاً!

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

أظافر غاندي المارلبورو لم تحملها أي جنّيّة صغيرة، وتطر بها إلى أي مكان. هي فقط انتقلتْ بسلاسة ودون أيِّ ألم، إلى أصابع ليليان. الحقيقة أن أياً منهما لم يكن قد شعر بالأمر. كانت ليليان لحظة تسلَّم غاندي المارلبورو رسائله وهداياه، تجلس برفقة شابّ، تعرَّفتْ إليه خلال عطلة الكريسماس. وعلى ما يبدو، فإنها كانت تضع إحدى يديها مُكوَّرةً داخل اليد الأخرى ليس تعبيراً عن حيائها كون الشاب الجديد جذّاباً جداً، بل لأن ليليان، شعرتْ ولأول مرّة، بأن أظافرها ستنفصل عن أصابعها، وتطير كما لو أنها أجنحة جنّيّات صغيرات. إلا أنها طبعاً استحتْ أن تُعبّر عن الفكرة، مخافة أن يسخر منها الشابّ الجذّاب في قرارة نفسه كما كانت تفعل هي مع غاندي المارلبورو الذي أحسّت تجاهه بامتنان، وتمنّت الآن لو أنها احتفظتْ بشيء واحد، أي شيء، من كل هداياه ورسائله.

على أية حال، فإن وَضْعَهَا يديها بتلك الطريقة، جعل غاندي المارلبورو يتولّد لديه على الفور شعورٌ، ومن تلك المسافة البعيدة، باحتكاكِ أظافره براحة يد ليليان. بالضبط لحظة كان ينظر إلى أصابعه تحت شعاع الشمس على البلكونة. شعورٌ يحفظه عن ظهر قلب. فهو كان يترك يده أحياناً مُكوَّرةً في يدها حين يمشيان في الطريق أو يجلسان على كنبة في المقهى أو غرفة بيتها. شعورٌ للحق، ولّد ازرقاقاً في رؤوس أصابعه. لكنه لم يكن في مكانه المناسب في هذه الظروف. حتّى إنه فاقم من إحباط غاندي المارلبورو. أخذ قلبه يخفق ببطء. كان مثبط العزيمة. وأحسّ بأن في الأمر خديعة. إن شيئاً من هذا قبيل لم يحدث قط، والحكايةَ برمّتها مجرّد استعارة ووَهْم.

غاندي المارلبورو لم يعرف أبداً ماذا حلَّ بأظافره. ولو سألتَه عن المسألة قبل الانفجار، سيقول لك إن على المرء ألا يثق كثيراً بأظافره. النساء اللواتي أقام معهنّ علاقات عاطفية، كُنَّ يسألنَه أول شيء عن أظافره، فيقول بحيادية كما لو أنه مُنوَّم مغناطيسياً، إن عرَّابة الجنّيّات الصغيرات حول

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

ثمانية كواكب من بينها الأرض، جاءت في الصباح الباكر، وسحبتْ أظافره لتفريقها على الجنّيّات الصغيرات اللواتي وُلدن بلا أجنحة. فحتّى في عالم الجنّيّات الصغيرات؛ حيث يولد الجميع بمحض الحبّ البريء والمطلق، ليس ثمّة كمال. وإن بعض الجنّيّات الصغيرات يتَّسِمنَ عند الولادة بتشوُّه خُلُقي، فيكون لهنّ جناح واحد مثلاً بدلاً من جناحين، أو قد لا يكون هناك أجنحة لهنّ بتاتاً. لهذا فهنّ بحاجة لأظافر، يكون في داخلها الكثير من الحبّ. وكان يضيف للتأكيد على صدْق قصّته، أنه رأى بنفسه عرّابة الجنّيّات. كانت بهيئة ذَكَر، وهي لم تدخل عائمةً في الهواء عبر الشبَّاك أو منور المطبخ، بل طرقت الباب بقبضتها، وفتح لها هو بنفسه. بل ودفع لها بقشيشاً كذلك!

سرد غاندي المارلبورو هذه الحكاية كثيراً. تقريباً، لكل امرأة أقام معها علاقة عاطفية. كانت الحكاية بمثابة تلميح قوي بأنه غير قادر على الوقوع في حبّهنّ. على الأقلّ، ليس في المدى المنظور. كان ينام دوماً قرب الشبّاك. تاركاً واحدة من يديه الاثنتين تتدلّى خارج الشبّاك. وأحياناً، وفي خضمّ نومه، يشعر بأن جنّيّة صغيرة من تلك الجنّيّات اللواتي وُلِدن بتشوّه خُلُقي، والتي ربمّا ترفرف في هذه اللحظة فوق بحيرة أو مخزن أدوية، مستعمِلةً إظفره المسلوب كجناح، أتتْ وجلستْ بخبثٍ على إصبعه. لا لتستريح، بل لتُنعم النظر في موضع الظفر في الإصبع. قبل أن ترحلَ مطمئنّةً بأن الإظفرَ الذي سحبتْه لها عرَّابة الجنّيّات من إصبع غاندي المارلبورو في مراهقته، لا يتلاءم في المقاس وإصبع غاندي المارلبورو الثلاثيني قبل انضمامه إلى المسلّحين. كان يفسّر ذلك الشعور، كدلالة على أنه لن يكون بمقدوره مجدّداً عيش الحبّ كما أول مرّة. إلا إذا شاختْ الجنّيّات الصغيرات اللواتي يرفرفنَ بأظافره، أو انتحرنَ. عندها فقط قد يستردّ الأظافر التي ستكون بدورها قد شاخت وأصبحت ملائمة وأصابع يده. لكن هذا أيضاً مستحيل؛ لأن الجنّيّات محكومات باليفاعة والسعادة.

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

هنّ لن يشخنَ إطلاقاً، أو يُصبنَ بعارض نفسي، قد يفضي إلى الانتحار.

بعد ذلك، يستيقظ مذعوراً. يقول "لعلّني متواجد في الاتجاه الخطأ" ويحزم أغراضه ويرحل. دائماً بعد أقل من ثلاثة شهور على بدء علاقته بهنّ. بالضبط كما فعلت ليليان. يترك وراءه في كل مرّة قلبَ امرأةٍ يُصَفِّر خواءً بدل أن ينبض. أحياناً كانت المرأة، ومعظمهنّ جميلات وواقعيات، تحاول إقناعه بالقول، إنه ليس شرطاً أن يشعر تجاهها كما شعر في أول حبّ خبره. وبأن كل حبّ يمكن أن نجعله حبّاً أول. لأنكَ من المستحيل أن ترى نفس الغيمة في نفس المكان بالسماء مرّتين. لكنه كان يجاوب بأنه بدون أظافره، لن يكون قادراً على جعل أيِّ حبّ حبّاً أولاً. ثمّ يضيف مُنكِّتاً لتخفيف الصدمة "إلا إذا طلع لإحدى تلك الجنّيّات اللعينات شاربا قطٍّ" مُوحياً في الوقت عينه بأن الأمر مستحيل. فهو لا يكذب ولا يبالغ في مشاعره. أولئك النسوة المنكسرات لم يأخذنَ منه شيئاً حميداً، كما حدث الأمر مع حبيبته الأولى. أخذنَ فقط عادتَهُ في التعرّق تحت الإبطين والسّرّة وبين الفخذين. كذلك رائحة فمه، وضيق تنفّسه، وقرقرة معدته، وتجشوءه وأيضاً فوران الأسيد الفجائي والمُقلِق في مريئه. صرنَ يشعرنَ بذلك بعد رحيله.

غاندي المارلبورو لم يرَ أظافره مجدّداً، ولم يعثر على ليليان؛ لأن ليليان كانت بعيدة. بعيدة جداً. هي لم تحبّ رجلاً آخر بعد غاندي المارلبورو عدا ذلك الشابّ الجذّاب جداً. أظافر يديها مع الأيام أصبحت أكثر سماكة وتقوّساً. كأظافر أيّ امرأة مستقلّة في الحياة، ومتمرّسة. الأمر الذي عزّز ثقتها بنفسها مع حبيبها الجديد. أصبحت تداعب ظهره بأظافرها أكثر فأكثر، وتجعله يضع الطلاء عليها أحياناً، وهما عاريان، الأمر الذي كان يُولِّد لدى غاندي المارلبورو دغدغة مقيتة في رؤوس أصابعه، تجعله شبه متأكد من أنه تعرَّض لخديعة، فيستيقظ عندئذ مذعوراً، ويقول "لعلّني متواجد في الاتّجاه الخطأ". أما ليليان؛ فظلّت في قرارة نفسها ممتنّة لغاندي المارلبورو.

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

وبعد مضي أقل من سنة على علاقتها الجديدة، اعترفت للشابّ الجذّاب بشعورها أن أظافرها ستنفصل عن رؤوس أصابعها، وتطير كما لو أنها أجنحة جنّيّات صغيرات. والشابّ الجذّاب شهق اندهاشاً من تعبيرها هذا قائلاً إن أذنيه لم تعرفا قطّ عبارة جميلة بهذه البساطة. وعانقها فوراً، وقبّلها برقّة في شفتيها ملامساً بيده طرف ردفيها البائن قليلاً من تحت الشورت الجينز المفضَّل لديها، والذي اعتادت ارتداءه كلّما التقيا هي وغاندي المارلبورو. إلا أنها لم تكرّر كثيراً على مسامع الشابّ الجذّاب شعورها بأن أظافرها، أو فلنقل أظافر غاندي المارلبورو، ستنفصل عن أصابعها، وتطير كما لو أنها أجنحة جنّيّات صغيرات. مخافة أن يصبح الموضوع كليشيه. فيهجرها، وتفقد أظافرها، كما حدث مع غاندي المارلبورو، فتضطرّ لأن تبحث عنه فقط لمعرفة ما الذي يمكن للمرء فعله بعد ذلك.

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

هامستر

حادث. سأسمّيه حادثاً. ولأكون دقيقاً أكثر، سأقول، حادث في حانة. تصادم عَرَضي بالفكرة الخطأ. أو ربمّا الشخص الخطأ تماماً. لكنْ؛ من بين جميع مَن كانوا في الحانة، لم يكن يجب التصادم معه. أو حتّى المرور – دون قصد طبعاً – في مجاله المغناطيسي. لكن الحوادث تقع. ولا يكون بإمكان المرء فعل شيء. خصوصاً، حين يقع الحادث مع شخص يحمل شَبَهَاً منا. قل، شَبَهَاً كبيراً. وأنا لا أتحدّث عن العلامات الفارقة في الجبين أو الخدّ أو حتّى الأصابع. إطلاقاً. أنا وذلك الرجل مثلاً، لم نكن نتقاسم أيّ شبه. لا في الطول ولا الملامح أو البشرة. حتّى إنه أصغر مني سنّاً. وبإمكانكَ أن تقول إن الشبه الذي بيننا درجة ثانية أو حتّى ثالثة. شبه غير متعلّق بنا. بل بحقيقة أن كلينا في الحانة يحمل قفصاً، فيه فأر هامستر.

أنتَ لن تتوقّع أن تجد في حانة ما رجلاً معه هامستر. وبشكل أخص، ليس حين تكون أنت نفسكَ قد دلفتَ الحانة، وقفص هامستر يتأرجح في إصبعكَ. لا يخفى أن الأمر مُستفزّ. ومن الممكن أن يأخذ مَنحىً شخصياً. قد تلكز الرجل الغريب في ذراعه – إذا ما استطعتَ ذلك - كما لو أنه غير مسموح له بإدخال هامستر إلى حانة، قائلاً "إذا سمحتَ، أجل أنتَ.. ما الذي يجعلكَ تصطحب هامستر إلى حانة؟". فأنتَ لديك سبب حميم؛ ليكون معك هامستر في حانة. سبب حميم جداً. وليس لأنكَ أتيتَ إلى الحانة؛ لتقدّم عرضاً بفأر، أو لتفاوض زبوناً على شرائه؛ إذ لم يمض أكثر من نصف ساعة على ابتياعكَ الهامستر. لكن الحوادث تقع. أليس كذلك؟ وتجد نفسك، بكل بساطة، وبعد أن تكون جلستَ بعيداً عن الرجل، في

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

مجابهة معه. وهذا ليس ما تريده. فقد دلفتَ الحانة؛ لتكونَ منفصلاً عن كل شيء في الخارج. لتتناول بهدوء فنجاناً من القهوة الإيرلندية، مصغياً، وأنت تفكّر بكل الأنباء السيّئة التي ستردكَ من المستشفى بين لحظة وأخرى، إلى عازفة الأكورديون السمينة التي تتعرّق كثيراً، وهي تعزف. والتي حين تبتسم، تتألّق تلك الثور النتنة التي تحيط بشفتيها.

الحانة مكتظّة. الناس يستغلّون ساعات الهدنة القليلة لشرب كأس من البيرة أو احتساء القهوة والثرثرة. وحين تدخلها تُلاحظ أن لا طاولة شاغرة. لكنكَ لا تمانع بتناول القهوة وقوفاً على البار. حتّى على البار، لا مكان. وآخر كرسي ملأه هذا الرجل الضخم. وقد ثبَّتَ قفص الهامستر خاصّته بعلاّقة أسفل اللوح الخشبي للبار. لذلك، فمن المستحيل ملاحظته. إنه الشخص الذي إلى جانبكَ تماماً، وأنت تتحدّث إلى النادلة. وأنتَ تتحدّث عمداً؛ لكي لا تكون مضطرّاً للتحدّث معه. فأنتَ تعرفه، واسمه كرم الهامستر. أحد أشهر المسلّحين، لكنه ليس مسلّحاً عادياً أبداً. وأنت لن تجرؤ بالطبع أن تسأله لماذا يصطحب معه فأر هامستر إلى حانة. لن تتفوّه بأي شيء من ذلك الهراء. فالرجل يحمل معه دوماً فأر هامستر. هو أيضاً من مقاتلي خطوط التماس البارزين. أما الهامستر؛ فلم يبتعه، بل وجده في أحد الشقق التي دهمها هو ومجموعته بعد ان استعادوا سيطرتهم على أحد الفنادق الممتازة. كان الفأر في حالة يُرثى لها. أخذه كرم، وأنقذ حياته. وبات كل حياة كرم الهامستر. وهو مَن أخبر الجميع بإطلاق هذه الكنية عليه من تلك اللحظة فصاعداً. قبل كل جولة اشتباكات جديدة، يقول للفأر "إما نحيا سوياً، أو نتعفّن سوياً". لذلك، كان يظلّ ممسكاً الفأر البرتقالي في قبضته في كل معاركه التي يخوضها باليد الأخرى. كرم الهامستر من ذلك النوع من المقاتلين الذين يمكن أن يُطلقوا عليكَ النار بيد من سلاحهم الحربي الرشّاش الروسي الصنع "كرينكوف، ٢,٧ كلغ"، فيما يحملون باليد الأخرى فأراً يرتجف بين أصابعهم، ويدغدغهم. كرم الهامستر استولى على الـ"كرينكوف" من أحد المسلّحين في ميليشيا يسارية، يناصبونها العداء.

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

لكنه منذ أن حظي بالهامستر صار يُطلق النار براحة نفسية [illegible] لا يبدّد العيارات النارية سدى. يقول جاداً "هذا أفضل بينيا". [illegible] المقاتلين في الأحزاب الأخرى يعدّونه كريهاً ومثيراً للفزع. وقد أوصى رفاقه بأن عليهم أن يتركوه يدسّ الفأر في فمه، ويبتلعه، بل وأن يساعدوه على ذلك إذا ما أصيب خلال أي اشتباك بطلق مميت أو حتّى برصاصة طائشة أو اغتيل، "إما نحيا سوياً، أو نتعفّن سوياً" يذكّرهم. عندما يُدفن، يجب أن يكون الفأر البرتقالي في بطنه.

مع ذلك فإن رفاق كرم الهامستر في الميليشيا تندّروا عليه أحياناً في الخفاء إلا أن أحداً لم يجرؤ على التفوّه بمزحة عنه في وجهه. في إحدى نشرات الأخبار، قال للمراسلة ممازحاً وهو يملّس على الهامستر البرتقالي إن الحروب تحدث؛ لكي يتقن الناس أكثر فن الخداع. أما هو شخصياً؛ فإنه يخوض الحرب لا لشيء إلا ليتعلّم خدعة إبدال هامستر بهامستر آخر عبر قفصين مغلقين، ومن دون أن يفتح أياً منهما. والأطفال الذين شاهدوا النشرة لم يعودوا يتذمّرون من أصوات الرصاص، بل إنهم باتوا أكثر سماجة واقتناعاً بضرورة الاشتباكات من مسلّحي الأحياء المجاورة. أما ابنك؛ فإن حديث كرم الهامستر خلّف فيه قناعة بأنه سيكون قادراً على التوصّل إلى حيلة تبديل الهامستر قبل هذا المقاتل الضخم نفسه.

يقول كرم الهامستر إنه بعد أن تنتهي الاشتباكات، سيذهب إلى بلغاريا للتخصّص على يد الغجر بألعاب الخفّة المتعلقة بالفئران، الهامستر بشكل خاصّ. سيمرّن فأره على الدخول في خرطوش رصاصة قناص ميتاً، ثمّ يُخرجه على قيد الحياة. وأنتَ تظنّ أنه لا يفعل هذا إلا لأنه يريد أن يحذو حذو ذلك الساحر الذي كان بعد أن يشنق الأرنب حتّى الموت، يُدخله في القبّعة الورقية، وعندما يخرجه منها، يكون الأرنب على قيد الحياة. لكن ذلك الساحر كان يفعل ذلك بطريقة مؤثّرة. خصوصاً حين يُعلن قبل وضع المشنقه الصغيرة أمام الجمهور، بأن الأرنب هو في الواقع أنثى - أمّ. لو كان

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

لديكَ شخص فقدتَه في حياتكَ، كنتَ ستذرف الدموع لا محالة. أو ربّما لأن الأولاد الثلاثة الذين عاونوه، وكانوا أخوة، عانوا جميعاً متلازمة داون، وقد بدوا أكثر إثارة للشفقة ببزّات الأبطال الخارقين التي ارتدوها الوقت كله.

كرم الهامستر شاهد العرض مرّة واحدة. كان ذلك مباشرة بعد أن انفصلت عنه حبيبته التي كانت تكبره بستّة عشر عاماً. كان مجرّد فتى وقتها. كان في الرابعة عشرة من عمره، وشغوفاً بأغنيات الحبّ باللغة الإنكليزية. لكن جثّته الضخمة جعلت أصدقاءه يتندّرون عليه بالقول إن الناس الذين خُطِف أولادهم، عليهم أن يفتّشوا في بطنه. في ذلك العرض، ظلّ ماسكاً نفسه؛ كي لا يذرف الدموع، لكنه بعد انتهاء العرض، ذهب إلى غرفته، وانفجر بالبكاء. ذكّره العرض بحكاية هَجْر حبيبته له. لا أحد يعلم كيف أصبح أحد أشرس المقاتلين وأكثرهم قسوة. يُعتقد أن للهامستر دوراً في ذلك.

لكنْ؛ وفيما أنتَ تفكّر بكل هذا، فإن احتكاكاً ما يحصل بين قفص الهامستر خاصّتكَ وقفص كرم الهامستر. تقول لك النادلة، "سيدي بإمكاني أن آمر باحضار طاولة لشخص واحد، إذا أردتَ". "هذا بالضبط ما أريده"، تجاوبها، واضعاً لها بعض البقشيش؛ كي لا تقدّم لكَ أية ملاحظة لاحقاً حول الهامستر. بعد قليل، تجد نفسكَ جالساً إلى طاولة معدنية زرقاء وكرسي في آخر الحانة المستطيلة تقريباً؛ حيث البار. تبدأ بالتفكير فوراً بابنكَ الصغير الراقد في المستشفى. تتخيّل لو أن الناس بإمكانهم تبديل أطفالهم حين يمرضون. سيكون أمراً عظيماً ساحراً. تُودع ابنكَ العليلَ المستشفى، وفي اليوم التالي تأخذ بدلاً منه طفلاً سليماً، طفلاً جديداً، ومعافى تماماً. وتشعر فوراً بالألفة تجاهه، كما لو أنه كان طوال الوقت ابنكَ. ابنكَ البيولوجي. كما يحدث حين يستبدل المرء بسيّارته سيّارة جديدة مقابل بدل مادّي.

لكنْ؛ وبطريقة ما، فإن الهامستر الذي تحمله أنتَ، يكون بعد هذا الاحتكاك البسيط بالرجل على البار، قد أصبح داخل قفصه، وبالعكس. كيف حدث ذلك؟ الأمر يثير الدهشة حقاً، ولن تعرف ماذا حصل. فأنتَ

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

لم تشعر بشيء. لم تتنبَّه لأي ارتجاج في القفص مثلاً، كما يحدث في أفلام الخيال العلمي، أو لتغيُّر وزنه أو تأرجحه، ولو بشكل بسيط في يدكَ. بل إن الهامستر الذي اشتريتَه لابنكَ، ظلّ نائماً طوال الطريق قرب دولاب اللعب في القفص. إنه عجوز. هامستر عجوز. تماماً كما أخبركَ البائع. لكنه أيضاً الهامستر الذي أراده ابنكَ. وظلَّ يطلبه طوال أسابيع قبل وقوع الحادثة. «رغم أنه لم يأت على ذِكْره أبداً منذ أن أُدخل المُستشفى. لكنكَ اشتريتَه له. قلتَ في نفسكَ "قبل فوات الأوان". والآن، يقف هذا الرجل الضخم المسمّى كرم الهامستر قبالتكَ في الحانة مرتبكاً، بل مشوّشاً بالكامل. يرفع في وجهكَ القفص خاصّته. يقول "هذا مذهل، يا رجل. مذهل. لديكَ خفّة يد عظيمة. برأيي، هذه أكثر الخدع إثارة للحيرة. لدرجة أنني أشعر بأن تنفّسي سيتوقّف. لقد رأيتُ يدَكَ. كانت مستندة إلى البار، وباليد الأخرى كنتَ تحمل القفص. مع ذلك استطعتَ تبديل فأري الهامستر. أووف. كيف فعلتَ ذلك؟ سأكون ممتنّاً لو أطلعتَني على هذه الحيلة. إنني في حاجة ماسّة لذلك".

أنت الآن تنظر في وجهه مباشرة. تلك الندبة التي تمتدّ من زاوية فمه حتّى أذنه. شقّ أحدثَهُ فيه ثلاثة مقاتلين بسكّين مخصّص لقتل أسماك القرش. وكانوا على وشك أن يعملوا له شقّاً آخر من الجهة الأخرى من الوجه إلا أن منظر أسنانه المسوّسة وذلك السائل الأصفر الذي أخذ يتدفّق بدلاً من دمه الأحمر، أخاف الرجال الثلاثة. لقد كان معروفاً عن كرم الهامستر بأنه شخص مرض مرّة باللوكيميا، سرطان الدم. لكنه شُفي، وبقي يقاتل، وكان ذلك يخيف المقاتلين الذين لم يرغبوا بأن يجازفوا بالإصابة برذاذ من دمه مخافة أن يتسلّل شيء من الخلايا السرطانية إليهم. هذا ما كانوا يعتقدونه. كرم الهامستر يدرك الآن، من ذلك الذهول في نظرتكَ، بأنكَ تعرّفتَ إليه. لذلك يبادر بالقول "في الأيام التي لا تكون مضطراً فيها لإطلاق النار على أحد السَّفَلَة بالكرينكوف، عليكَ أن تتصرّف كمَدَني. أليس كذلك؟ هذا مفيد لنا نحن المقاتلين الأكثر شراسة. فكل شيء سينتهي في لحظة ما،

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

ولا بد أن نجيد التعامل مع الناس. سُلطتُنا هذه لن تعمّر طويلاً. التفا..
في هذا الأمر ليس بسيطاً بالنسبة لي. أعترف. لكني أحاول، وأقول إن علي
البدء بأصغر الوحوش التي فيّ، هذا الهامستر. في حانة جميلة كهذه لا أملك إلا أن أضعه في قفص". تسدّد نظرة إلى قفصه، ثمّ تنظر إلى قفصك القفص الذي يحمله هو القفص نفسه الذي رأى ابنكَ فيه الهامستر أول مرّة. لا بد أن كرم شبَّحه على صاحب محل الحيوانات. ولذلك، عندما تبدّل الفأران، فإن الهامستر الذي لابنكَ أُعيد بهذه الطريقة إلى القفص الذي رآه فيه ابنكَ أول مرّة. تتبسم وتقول في نفسكَ "يا لكَ من وغد صغير"، مخاطباً ابنكَ طبعاً. فما يقوله كرم صحيح تماماً. أنت نفسكَ لا تعرف كيف حدث الأمر. الهامستر في قفصكَ برتقالي اللون. بديع ومهضوم، لكنه ليس الفأر الذي أراده ابنكَ. الهامستر الذي اشتريتُه، يرقد منهكاً في قفص الرجل. هامستر عجوز. وما يمُيِّزه هو لونه. لونه لا علاقة له بتاتاً بالبرتقالي. قل ثلاثة ألوان مجتمعة. هامستر "زيبرا". أبيض، وتتخلّله خطوط سوداء ورمادية، كحمار الوحش. هذا هو الهامستر الذي أصرّ ابنكَ ولأشهر على شرائه قبل أن يستسلم تماماً للفكرة، ويكفّ عن سؤالك عنه. لا. لم يستسلم تماماً. أنتَ تذكر جيداً هذا البار. دلفتُما أنت وابنكَ هذه الحانة وابنكَ الذي كان يغمس الكعك اليابس في فنجان الشوكولاتة الساخنة، نظر إلى العلاقتين نفسيهما تحت البار وقال "بابا، لماذا لا تشتري أنتَ أيضاً فأر هامستر؟ لو سمعتَ كلامي فسأعلّمكَ خدعة سِحْرية. نعلّق كل هامستر في قفص هناك على العلاّقتين، وسوف ترى كيف أُغمض عينيّ وأُبدلهما دون أن أفتح أياً من القفصين، هكذا"، ثمّ وضع يديه على عينيه؛ ليريكَ كيف سيقوم بالحيلة من مسافة، وبدون أن يلمس القفصين وبعينين مغمضتين. إنها الحيلة التي حلم كل يوم بالقيام بها، وأنتَ انتظرتَه أن يُنزل يديه عن عينيه إلا أنه لم يفعل، طلبتَ منه بهدوء وكنتَ تبتسم، وتنظر إلى امرأة جميلة مرّت قُربكما، كانت ستكون ملائمة لكليكما، لكن ابنكَ لم يُنزل يديه، فألححتَ، وعندما حاولتَ نزع يديه وجدتَهما متخشّبتين.

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

الطبيب قال جلطة دماغية، نادرة الحدوث في حالات الأطفال. وبعد أن عادت من المستشفى، جئتَ إلى الحانة نفسها حاملاً أخيراً فأر الهامستر الذي لطالما طلبه منكَ.

ورغم أن لا علاقة بك بخدعة من هذا النوع، وقد أتيتَ الحانة لتنفصل عن كل شيء، إلا أنكَ تجد نفسك لوهلة متعاطفاً مع الرجل؛ لأن الوغد يذكّرُكَ بابنكَ. لديهما جينة الاهتمام بالفئران نفسها، كما لو أنه هو والده، وليس أنتَ. لكن هذا ما يهمُّك الآن. فالولد يقول دوماً "أريد أن أصير ساحرَ هامستر". لم يكن يقول "ساحر" بل يحدِّد "ساحر هامستر". وأنتَ تسأله "ماذا تعني بساحر هامستر؟ أنك ستخرج هامستر من قبّعتك بدل الأرنب، أو أنكَ ستُدخل هامستر مثلاً عبر خاتم زواجي بوالدتك، وتُخرجه من الجهة الأخرى منديلاً مثلاً؟! فيجاوب، "لا، لا، أكثر من ذلك. بابا، اشترِ لي هامستر الزيبرا، وسأعمل مفاجآت. أشعر أنني موهوب". "تشعر أنكَ موهوب؟ وهل ستريني إيّاها، تلك المفاجآت؟"، تسأله. "طبعاً. عندما يحين الوقت ستجد نفسكَ تشاهدها وحدك". إلا أنكَ لا تشتري له هامستر الزيبرا.

"سأدفع لكَ ما تشاء. أنا مستعدّ لبيع الكرينكوف من أجل تلقّن هذه الخدعة بالهامستر. العديد من الرفاق يرغبون بهذ السلاح، وسأتقاضى مبلغاً كبيراً. لكن هذه الخدعة بالذات. أحتاجها. كلانا يعلم أن تبديل فأرين عبر قفصين، ليست بعظيمة، لكنها تنطوي على حسّ عال بالاختلافات ومراوغة العوائق. وستكون مبهرة بلا شكّ لبعض الأشخاص على الأقل. إضافة إلى أنها ستُمكّنني من إكمال كاتالوغ الخدع الذي أؤلّفه بنفسي"، يقول.

تحاول أن تشرح له أنْ لا علاقة لك بالأمر، وأن خطأ لا بد قد حدث. وتطلب منه بتهذيب استعادة هامستر الزيبرا من القفص. والرجل يُخرج الفأر العجوز على الفور، لكنه بدلاً من أن يسلِّمكَ إيّاه، يعصره بقبضته. الفأر العجوز يغمض عينيه، ويئنّ تجسيداً للألم الهائل الذي يشعر به. لا يحاول

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

مثلاً أن يعضَّ الرجل، كما تفعل الحيوانات الضعيفة في لحظات تعاستها. لا يرتجف أو يخرمش أو يبلعط. لا شيء. بل يستسلم تماماً. وفي غضون أقل من دقيقة يكون قد أصبح غائباً عن الوعي. "ما الذي فعلتَهُ؟ قتلت الفأر؟"، ترفع صوتكَ. لكن الرجل يقول وهو يربتُ على خدّكَ بصفعات قصيرة "هدِّئ من روعكَ، أيها الأب. أنتَ أب، أليس كذلك؟ الفأر غائب عن الوعي فقط" يقول مقهقهاً. تُدرك أي لعنة تلك التي أنتَ فيها. فهذا المسلّح الذي يريد أن يصير ساحراً، يبدو كما لو أنه يقف وراءكَ على لوح التزلّج خاصّتكَ على الماء. يجلس في الكرسي الذي قدّامكَ، ويخبركَ بأنه أستاذ في ألعاب الخفّة. لا يقول ألعاب خفّة، بل "ساحر هامستر محترف". "لستُ بذلك المحترف كما قد يتصوّر المرء، لكني على درجة من الاحتراف تؤهّلني لكتابة إعلان، وتلقين الأطفال والشبّان بعض الأسرار الكلاسيكية للمهنة". تدرك أن له علاقة بالإعلان الذي كان ابنكَ يقرؤه كل يوم، وهو عائد من المدرسة. "هل ترغب بأن تصبح ساحراً متخصّصاً بالهامستر؟ هل تشعر أن لديك الموهبة في ألعاب الخفّة؟ اتّصل بنا". ابن الكلبة!

"والآن، هل ستقول لي سرّ هذه الخدعة؟ أنتَ تجازف بالهامستر الزيبرا. لا يمكننا إبقاؤه غائباً عن الوعي فترة طويلة. فقد يموت. علي الاعتراف بأنني أجده هامستر جميل جداً. لم أر مثله من قبل"، يقول. وفي تلك اللحظة تشعر بقرصة في إصبعكَ. لقد كاد الهامستر البرتقالي أن يعضّكَ. "خذْ حذركَ. هذا الهامستر مدرّب جيداً! إنني أبقيه دوماً جائعاً. والأصابع وجبته المفضّلة"، يقول. الهامستر الذي لديه متوحّش فعلاً. لقد درّبه على قَشْط رؤوس أصابع ضحاياه. "الأمر يبدو كما لو أنكَ وضعتَ الإصبع في أسيد. لن يبقى أي شيء سوى العظام. آه، لا أزال أتذكّر ذلك الصحافي الذي انتقمتُ منه. هو وصديقته. لم أمسّها. أما هو؛ فاحتفظتُ به لبعض الوقت. بعد أن انتهى منه الهامستر بدت أصابع يده، كما لو أنها مغمسة بالأسيد. هذا الهامستر خدع الجميع. حتّى مراسلي أكبر الجرائد. النيويورك تايمز والغارديان واللوموند. مساكين. ظنّوا أن الأمر له علاقة بحُرّيّة الرأي وكل تلك

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

الـ..اهات. كانت مسألة شخصية بيني وبينه. فقط لا غير". ...
ا.. ـرم الهامستر بعد أن يأمر ضحاياه بالاستلقاء على الأرض، على ظهورهم، ...
...وس بكل قَدَم من قَدَمَيه على معاصمهم، فيما ماسورة رشّاشه ملتصقة
...بهة الضحية. بهذه الوضعية فإن الأصابع تكون في متناول الهامستر
الجائع الذي يتّجه إليها، ويغرس أسنانه فيها، كما تغرس الحفّارة أسنانها
في التربة. ثمّ يقشط ما يستطيع. الجلد واللحم وحتّى بعض العظم أحياناً.
يموت الناس دون بصمات. يقول إن أول أصابع تناولها الهامستر كانت
قطعاً من عشر أصابع ذائبة على قضبان مدرسة. قَشَطَ الشبيبة الأصابع،
وبعد الظهر كانت في كيس مرقّط كجلد النمر، ومعلّق على خصره. شعر
بأن الأصابع مُرسَلَة له من السماء. إشارة. فأجبر الهامستر المتضوّر جوعاً
والمتوتّر على أكلها، بعد أن جوَّعَه ليوم ونصف.

ترشف بعضاً من القهوة الإيرلندية، وتنظر إلى الرجل. ما الذي تستطيع
فعله؟ فأنت نفسكَ لستَ مسؤولاً عن تبديل الفأرين. بل أنتَ لا تعرف حقاً
كيف حدث الأمر. تقول "إنه ابني. اختصاصي هامستر. يدرّبها للقيام بكل
هذه الخدع الصغيرة. وهي تُنفِّذها بمهارة عالية، حتّى وإن كان هو في غرفة
معزولة، والهامستر داخل قفص في حانة. لديه أيضاً خدع أخرى. كإخفاء
هامستر داخل بالون، أو حتّى جعله يدخل قوقعة سلحفاة حيّةٍ، ويخرج
من الثقب الخلفي. هذه الخدع سيُقدِّمها اليوم ولأول مرّة في المستشفى
للأطفال المرضى. سيدَّعي بأنه واحد منهم، بأنه أيضاً طفل مريض. كي لا
يكون الأمر محرجاً لهم. لن يكون لطيفاً على الإطلاق أن يقوم طفل بصحّة
جيدة بعرض أعمال خفّة لأطفال مرضى، قدراتهم الجسمانية محدودة.
تعرف، علينا أن نتحلّى دوماً بالأمل. وأن نمنحه للآخرين متى استطعنا".

في هذه اللحظة، يرنّ هاتفكَ.

"المستشفى"، يقول لكَ الرجل مبتسماً بخبث. تتناول الهاتف، وتنظر
إلى شاشته، وتهزّ برأسك بفتور. إنه المستشفى بالفعل. لكنكَ لا تريد أن

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

تُظهر اندهاشاً أو أن تسأله "كيف عرفتَ؟" سوف يبدو ذلك ضعفاً منك. كما أنكَ حريص على حياة هامستر الزيبرا. عليكَ أن تكون ودوداً معه، ومتماسكاً في آن. تبتسم كما لو أنه ابنكَ على الخطّ، وأنتَ على وشك أن تسمعه يسألكَ "أين أنتَ، يا بابا؟ العرض على وشك أن يبدأ، والأطفال منتظرون في الردهة. أحضر هامستر الزيبرا بسرعة".

لكنه بالطبع ليس ابنكَ. ولن يكون ابنكَ على الإطلاق. بل الطبيب. يحدثّك مغتمّاً. يقول "أخبار غير سارّة. لم نتوقّع حدوث الأمر هذا المساء. كما تعلم، كل التقارير والصور أشارت إلى أن الصبي كان لا يزال أمامه يومين أو ثلاثة على الأقل، لكن دماغه انغلق على نفسه منذ قرابة العشر دقائق. دخل مستوى آخر من الغيبوبة. الأمر فاجأنا جميعاً، وليس بمقدورنا فعل أي شيء".

بعد أن يُغلق الطبيب الخطّ، تقول للرجل بصوت هادئ "إنه ابني. الآن بتّ أعرف تماماً بأنه هو مَن قام بخدعة تبديل الهامستر. حدث الأمر منذ نحو عشر دقائق، أليس كذلك؟"

"عشر دقائق بالضبط. هذا فعلاً مدهش. أنا مندهش، يا رجل!"، يقول.

"هوّنْ عليكَ! ينبغي الآن أن تُوقظ الهامستر، ولنتّجه إلى المستشفى. العرض على وشك أن يبدأ، والجميع منتظر. سأطلب من ابني أن يبوح لكَ بسرّ حيلة تبديل الهامستر. لن يرفض لي هذا الطلب. فأنا لم أرفض له طلباً في أي يوم".

المستشفى قريب. على بعد شارعين من الحانة. هامستر الزيبرا استعاد وعيه، وأصبح في قفصكَ. لكنه على حاله. رابض قرب دولاب اللعب. تتساءل، لماذا قد يشعر هامستر عجوز بالحاجة إلى اللعب؟ خارج المستشفى، تقول لمرافقكَ الآن "الصبي بانتظارنا على سرير في غرفة العناية الفائقة. هذا جزء من اللعبة. على المرء إتمام الخدعة من الألف إلى الياء. الصبي في الطابق

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

المتحمّس للأطفال. وقد يعبر أحد أولئك العفاريت الصغار بجانب الغرفة في أي وقت. وسيكون مفيداً أن يرى ابنيَ الساحرَ الصغير راقداً في السرير. حتّى أنت، عليكَ أن تتعامل معه على أنه مريض. وإلا فسيُثير الأمر انزعاجه. طلب ألا أبوح بالأمر لأحد. أنت تعرف الأطفال بلا شكّ. أحياناً يتصلّبون كجنود، ويتراجعون عمّا يعدوننا به. ابني مثلاً قد يقرّر ألا يُطلعكَ على الخدعة. عليك أن تكون شديد الحذر. أن تُمثِّل جيداً بأنكَ صدّقتَ أنه مريض".

"لا مشكلة. أنا أفهم ذلك. ألعاب الخفّة هي أيضاً ضَرْب من التمثيل"، يقول متحمّساً.

"هذا ما أردتُ سماعه. والآن استعدّ لتعلّم أهمّ خدعة في حياتكَ. دع الولد يثق بكَ. إنه لا يعرفكَ. لم يركَ قبلاً. حدِّثْه، وكنْ ودوداً معه. بل وحتّى قدِّمْ له عرضاً سِحْرياً في الغرفة. عليكَ أن تنال ثقته. هل معكَ شيء يمكنكَ أن تعمل به عرضاً ما؟ ليس المهم أن يكون معقّداً أو حيلة عبقرية. مجرّد عرض بسيط. الولد مولع بألعاب الخفّة. مهما كان مستواها. سيحبُّ ذلك كثيراً، حتّى وإن ظلّ متظاهراً بأنه مغمض عينيه، وأنه في غيبوبة، على سبيل المثال. سيحبّ ذلك كثيراً!".

"لا مشكلة على الإطلاق. سأريه خدعة سكب لتر من الحليب في كُمِّ معطفي واختفائه"، يقول.

"هذا ممتاز! الحليب موجود في كافيتريا المستشفى. ويمكننا طلب قنّينة حالما نصبح في الغرفة"، تقول.

لكنْ؛ يكون عليكَ أن تواصل التحدّث، أن تلفظ كل ما يتبادر إلى ذهنكَ؛ كي لا تنفجر بالبكاء؛ لأن الصبي في وضع محرج حقّاً. فتسأل كرم الهامستر "بالمناسبة، ألم تقل إنكَ مستعدّ لدَفْع المال، وبيع سلاحكَ الكرينكوف في سبيل تعلّم هذه الخدعة؟"

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

"أجل. لقد قلتُ ذلك"، يجاوب. واضح أن ما تفوّهتُ به ليس أفضل ما يريد سماعه. فهو قال ما قاله في غمرة حماسه بعد رؤية فأرَي الهامستر يتبدّلان في الحانة. الوغد يظنّ أنه في طريقه لتعلّم خدعة تبديل الهامستر المدهشة دون مقابل. حتّى إنه لم يدفع ثمن فنجان قهوتكَ بالويسكي.

"أطلبُ منكَ في هذه الحالة أن تتكفّل أنتَ - أو تحكي مع الميليشيا للاهتمام بالأمر - بتكاليف مُكُوث ابني في المستشفى. قد تروق له مسألة البقاء في المستشفى، وتقديم مزيد من العروض. ربّما يودّ البقاء مثلاً في السرير لأسبوع. لن أستطيع مَنْعَه. فهو ابني الوحيد. وأنا لا أرفض له طلباً"، تقول "لا تنسَ، ستدرّ عليكَ هذه الخدع الكثير من المال. خلال شهر ستعوّض كلَّ ما دفعتَهُ في المستشفى".

كرم الهامستر يوافق على الفور. تلك مسألة بالغة السهولة بالنسبة له. تدخلان المستشفى. تطلب منكما عاملة الريسبشن تَرْكَ فأرَي الهامستر في مكتب الأمانات؛ لأن إدخال الهامستر إلى غرف المرضى ممنوع، لكنها سرعان ما تتعرّف إلى الرجل الذي يرافقكَ، وتتراجع عن الأمر. تستقلان المصعد إلى الطابق المخصّص للأطفال، وتدخلان معاً الغرفة رَقْم ٣٠٢. تشير له أن يدخل هو أولاً، مُصطنعاً اللباقة، ثمّ تدخل من بعده.

"هذا يبدو مقنعاً للغاية"، يقول متأثّراً، وهو يتفحّص الآلات الطّبّيّة الموصولة إلى جسد الصبي الغائب عن الوعي.

"ألا يشعركَ هذا بالاحتراف؟ كل شيء مُرتَّب في مكانه تماماً. الولد، والآلات، ومكان النافذة، ونقاوة الهواء. ما رأيكَ؟".

"هذا فعلاً غريب. هل هو مستيقظ؟"، يقول.

"طبعاً. إنه بارع في التمثيل. ابدأ بمحادثته. عرّفْه إلى نفسكَ. قل إنكَ ساحر. ساحر هامستر. سيحبّ ذلك كثيراً. وسيفتح عينيه على الفور. أنا ذاهب لإحضار قنّينة الحليب"، تجاوب هامساً.

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

تتقدّم من سرير ابنكَ، وتضع القفص الذي فيه هامستر [illegible] بجانب مخدّته الصغيرة. كم يبدو ابنكَ الآن، والهامستر إلى [illegible] غيبوبة بالفعل.

وأنتَ تغادر الغرفة، يشرع كرم الهامستر بالتحدّث إلى الصبي، وبنبرة ودودة. رافعاً أمامه قفصَي الهامستر.

في المصعد، تتّكئ على القضيب المعدني، وتجهش بالبكاء. تتّجه إلى الكافيتيريا، تمسح دموعكَ بكُمّ قميصكَ، وتشتري قنّينة لبن صغيرة. لا يبيعون الحليب في الكافيتيريا. لا بأس، تقول. ستخلط اللبن من أجل خدعة كرم الهامستر، بالماء. وفيما تتّجه إلى المصعد، وبيدكَ القنّينة، يمرّ بكَ مُسعفون، وهم يدفعون أشلاء رجل وامرأة، زوجين، على شاريوت واحدة. وقعا ضحيّتي تفجير، نفذه رجل يعاني متلازمة داون. يجعلكَ ذلك تتأبط قنّينة اللبن بكل ما أوتيتَ من قوّة. تضمّها بإحكام.

حين تعود بالقنّينة، يباشر كرم الهامستر خدعتَهُ. يبدو كساحر حقيقي فعلاً. يقف أمام سرير الصبي، ويسكب اللبن في كمّه عبر قمع، صنعه من الورق. فيما أنت تتفرّج. ابنكَ طبعاً لا يستيقظ خلال الدقائق القادمة. يقدّم كرم عرضاً آخر بقطعة نقد، وعرضاً ثالثاً بمساعدة إحدى الممرّضات؛ حيث يخفي دبوساً في شعرها، ويُخرجه من بين أصابع قَدَم الصبي متعمّداً زكزكته. لكن الصبي لا يفيق. وما إن تنصرف الممرّضة، تقول أنتَ لكرم الهامستر "أظنّ أنه نائم الآن. الحوادث تقع، كما تعلم (تبتسم هنا). كما أن الوقت تأخّر، ومعظم الأطفال الآن نائمون في أسرّتهم. لكننا سنقدّم الخدعة غداً. في الصباح الباكر. لماذا لا تبقى هنا الليلة؟ يمكنكَ النوم على السرير المجاور. سيسمحون بذلك!". لقد قلتَ ذلك من باب المجاملة، فأنت تعلم أن كرم الهامستر لم يكن ليغادر أبداً قبل أن يفيق ابنكَ، ويعلّمه الخدعة. يروق له أنك تفوهتَ بذلك، ويقول لكَ إنه فعلاً لا يرغب بالمغادرة؛ لئلا يفوته العرض في الصباح التالي. ثمّ يخبركَ

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

عن ذلك العرض الذي شاهده بالأرنب الميت والقبّعة. تشعر بأنه على وشك أن يذرف الدموع، وتشيح بوجهكَ عنه، لكنه لا يبكي أبداً. يقول "لقد مرّت سنوات على ذلك"، ثمّ يُغمض عينيه، ويغطّ في النوم. بين سريره وسرير ابنكَ حوالي المتر.

تشعر بأنها اللحظة المناسبة؛ ليقوم ابنكَ بخدعته. اللحظة المناسبة تماماً. تقرّبْ منه، ترفع يديه الصغيرتين، وتغطّي بهما عينيه، كما فعل في الحانة، ثمّ تقرِّب من أذنيه مُدمدماً "هيا، هيا. افعلها الآن. افعلها!"، آملاً أن يستجيب ابنكَ لكَ، فيقوم الآن بحيلته السِّحْرية، وينقل الغيبوبة، كما لو أنها فأر هامستر، من جسده إلى جسد ساحر الميليشا النائم في السرير الآخر.

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

مهنتي التي تشبه الشِّعْر

في صغري كان خطّي رديئاً. لم يكن أبي يفهم أي شيء ممّا أكتبه، ولا أمّي. كذلك الأساتذة. واجهوا صعوبات جمّة في المدرسة. ولأن ذاكرتي ضعيفة، فقد أضحيتُ أنا نفسي عاجزاً عن تذكّر ما أكتب. أنظر إلى الورقة ساعات وساعات في البيت، وأبي يصفعني على رأسي من الخلف، وأمّي واقفة بصمت، ويداها على خصرها، لكني لا أتهجّى سوى اسمي وبعض الكلمات القليلة. ثمّ وجدوا قملاً في شعري، وأوساخاً في سرّتي، فطُردتُ نهائياً من المدرسة.

لم يُحدثْ الأمر فرقاً كبيراً، فبسبب خطّي الرديء لم يكن عندي صديق واحد في المدرسة. لكنني أودِعتُ بعدها مصحّة "دير الشجرة" لأن الصفعات على مؤخّر رأسي تركت فيّ خللاً. أبي أُحبِطَ كثيراً، وأصبح منذ تلك اللحظة يعاني آلاماً في صدره. لكنه لم يصبْ بنوبة قلبية على الإطلاق – حتّى الآن على الأقل. فهو أرادني أن أصبح شاعراً. ولم يسجّلني في تلك المدرسة بالذات إلا لأن عدداً لا بأس به من خرّيجيها صاروا فيما بعد شعراء. وأنا لأنني أحبُّ أبي، رغم قسوته، عقدتُ العزم أن أمتهن، بعد خروجي من "دير الشجرة"، مهنة تكون قريبة من الشعر. إيجاد تلك المهنة لم يكن صعباً في الواقع. فالشعر يشبه تماماً أي شيء آخر لا نعرفه جيداً. وأنا محاط بالأشياء التي لا أعرفها جيداً. هذه الحقيقة عندما أدركتُها، أُصبتُ بالإحباط. فعدَّلتُ خطّتي قليلاً. وصمّمتُ أن تكون مهنتي لا قريبة من الشعر وحسب، بل قريبة من شعر، يكون جديداً. جديد ومختلف تماماً. شِعرٌ لم يُكتَب مثله من قبل. ولهذا كان عليّ أن أبحث عن مهنة، لم تحدث من قبل على الإطلاق.

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

صحيح أن بعض الناس يَعدّونني في ما أفعله مختلاً وأفّاكاً. لكنني لم أكترث. فأنا أتحلّى بالأمانة، بينما أقوم بعملي. حتّى إنني أبكي أحياناً تأثّراً. لا يمكن لأفّاك أن يبكي تأثّراً، وهو يمارس حيله على الآخرين. أليس كذلك؟ المهمّ أنني وبسبب تعرّضي للصدمات الكهربائية في "دير الشجرة"، أصبحتُ حين أُغمض عينيّ لا أرى سوى أطفال. أطفال كُثُر، وبأعداد هائلة يتحلّقون حولي. ليس هذا فقط، بل أحدس أنهم صنف آخر من الأطفال. صنف لم يفكّر فيه أحد، أو يتوقّع رؤيته في أي يوم. فهؤلاء هم الأطفال الذين كان يُفترض بهم أن يُولدوا، لكن ذلك لم يحدث أبداً. إما لأن الناس قذفوا داخل واق ذَكَري، أو تناولوا حبّةً لمنع الحمل، أو لأنهم ببساطة كانوا عاجزين عن الإنجاب، أو أجهضوا الطفل. وهكذا وجدتُ مهنتي التي كنتُ أبحث عنها؛ إذ إن ما أفعله في الواقع هو أن أجعل الناس يرون هؤلاء الأطفال. ليس هذا فقط، بل أدلّهم من بين الحشد الهائل على الأطفال الذين كان يُفترض بهم أن يُولَدوا من صلبهم. وهذا شيء لم يُراودهم حتّى في أكثر أحلامهم تألّقاً. أعترف أن الأمر يُصيبهم بصدمة. بصعقة تحت أظافرهم، تشلّهم للحظات. فيفقدون القدرة على الكلام رغم الألم الهائل الذي يعتصرهم، كما لو أن أحداً سكب خطأً حساءً ساخناً فوق قلوبهم. يشعرون لدقائق أنهم مختلفون تماماً. بأن يداً امتدّتْ وحرّكتْ أرواحهم بالملعقة، كما لو أنها جِلو. أفعل ذلك بأن أُغمض عيني، وأمدّ يديَّ الاثنتين، والناس يفعلون مثلي، يُغمضون عيونهم، ويمدّون أيديهم، وما إن تتلامس أصابعنا، حتّى تلمع صورة أطفالهم في رأسي، وتسيل إلى رؤوسهم.

رجال ونساء بجميع الأعمار والمهن، أبدوا اهتماماً برؤية أطفالهم. كان من بينهم رجال شرطة حتّى. بعضهم كان مراهقاً ومطلّقاً، أو عازباً. عجوزان فقدا نصفيهما السفليين بانفجار، نفّذه منغول كهل، بحقيبة مدرسية، كانت محشوة بشفرات الحلاقة. كانت حقيبة ابنهما. وهذا لأن العجوزين كان لديهما صبيّ وحيد، لم يرياه منذ سبع وأربعين عاماً. قالا لي إنه هرع إلى مكان الانفجار قبل وصول رجال الشرطة والإسعاف، تناول شفرة حلاقة من

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

..الى الأرض، وقصّ من جسد كل منهما قطعة أمعاء، ورحل. لم يكونا را...
..رؤية هذا الصبي، بل طفلهما الآخر. طفلهما الآخر الذي أجهضاه بعد..
..لادة الأول، ولم يسبق لهما رؤيته. ولأول مرّة عرفا أن الطفل الذي أجهضاه
..كان فتاة، وخرجا من بيتي يذرفان الدموع. كما أن حبيبَين متخاصمين خرجا في غاية السعادة بعد رؤيتهما دزّينة الأطفال التي أهدراها، لكني لم أعرف إذا تزوّجا بعدها. أتمنّى ذلك. بعض الأزواج رأى أطفالاً من زيجات سابقة، لم تتمّ أو علاقات عابرة، وسبَّب ذلك أحياناً شجاراً حادّاً بينهم. وآخرون لم يلمع في رأسي أيُّ أطفال من أجلهم. هؤلاء أسفتُ لحالهم. كنتُ أريد لأبي أن يأتي، ويُغمض عينيه، ويلامس بيديه يدي. بل وأن يبقى وقتاً طويلاً على هذه الحال؛ كي يتسنّى له تأمّل كل الأطفال الذين كان يُفترض بهم أن يكونوا أشقّائي، ويصبحوا شعراء، ويتحلّوا بخطّ، لا يكون رديئاً طبعاً، فيكفّ عن صفعي على مؤخّر رأسي، ولا أدخل "دير الشجرة" فترة طويلة ولا ألوذ بعدها بالفرار.

هذه مهنتي الآن. وأنا لا أتقاضى أي نقود. إطلاقاً. لكنني أضع بين أيديهم بعد التجربة مربعاً جلدياً صغيراً مخيّطاً بإحكام، وبداخله ورقة. أطلب منهم أن يحتفظوا بها حتّى في قبورهم، إذا ما كانوا فعلاً راغبين بلَمّ شملهم مع أطفالهم المُفترَضين في الجنّة. وهنا يقدّمون لي مالاً. عرفان بالجميل، كما يقولون. أعترف أنني في هذا الجزء أفّاك. فالورقة التي داخل المربّع الجلدي ليست إلا قصاصة من أوراق دفاتري المدرسية التي لا أزال أحتفظ بها. وعلى الورقة ليس هناك أي شيء بالطبع سوى كلمات بخطّي، كلمات أنا نفسي عاجز عن قراءتها، أو فَهْمها. هذا كل شيء عن مهنتي التي أحبّ أن أعتقد أنها تشبه شِعْراً، لم يُكتَب مثله من قبل.

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

الجرذان التي لحستْ أذنَيّ بطل الكاراتيه

أوضاع مروّعة

في المدرسة، تقول المعلّمة للتلاميذ بأن يتخيَّلوا بأنهم في وضع مروّع، وعلى أساسه، يقرّروا أيّ حيوان سيتحوّلون إليه؛ كي ينجوا بأنفسهم. التلاميذ الذين تتحدّث إليهم المعلّمة، أطفال. في الرابع ابتدائي. ابني من بينهم. بنيته جيّدة نسبة إلى باقي زملائه الصغار. لكنه يجلس دائماً في الزاوية، متكوّراً على نفسه. يشبه البيوت التي تُطوى، ويمكن حملها في حقيبة على الكتف. لا أعلم إذا كانت بيوت كهذه موجودة حقاً، لكن ابني يشبه هذا النوع من البيوت بالفعل.

المعلّمة تُوَزِّع على الأطفال صوراً لأهوال منتقاة بشكل عشوائي من مناطق مختلفة. بعضها حدث فعلاً. الآخر متخيّل. هي ليست صوراً فوتوغرافية، بل رسومات. كارتونز أهوال، وبطريقة أقرب إلى البوب ستايل. حتّى إن فيها شيء يدعو للارتياح. يدعو إلى التفكير بأن ثمّة إنساناً واحداً على الأقل أنتَ ممتنّ له. ممتنّ بالفعل، وتريد أن تنهض من على كرسيكَ الصغير، وتقول له "شكراً". كما لو أنها أهوال حدثت في شارع فرعي صغير على كوكب آخر. كوكب بعيد جداً عن هذه المدرسة، والناس الذين يعيشون عليه مخلوقون من أقلام تلوين. وأنّ هذه الصور تسرَّبتْ على يد جماعة فضائية ناقمة، تشبه جماعة ويكيليكس التي ستظهر بعد ثلاثين عاماً على هذه الحكاية. لو نظرتَ إلى تلك الصور، فلن تشعر بالهول أو الرهبة. لن تُحَزِّق أو تشهق أو تتصلّب أو تطلب كوب ماء أو تتمنّى لو بقيتَ نائماً. لا شيء من هذا سيحدث لكَ. بل ستحسّ كما لو أن أحداً وضع

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

مفرقعة صغيرة تحت مخيّلتكَ، أو أن باباً صُفِق بقوة قرب دماغكَ الذي ارتجَّ كنبتة صبّار متشقّقة.

في إحدى تلك الصور، طفل يدسّ عيدان كبريت في فم كلب، وفي هذه الصورة يكون الكلب هو الكائن الذي يعاني المأزق، وينبغي له لكي ينجو أن يتحوّل إلى حيوان آخر، غير فصيلة الكلاب. تحت الصورة كُتب "أنت الكلب". ثمّ في صورة ثانية، جَدٌّ مُطلَّق في الثمانين من عمره، غفا على مقعده الخشبي، وهو يسلق ثلاث حبّات بطاطا، واختنق بالغاز. تحت الصورة كتب "أنتَ الجَدّ". وثمّة صورة أخرى لولد يجرّ درّاجة هوائية في ملعب مدرسة، تحتها الملحوظة التالية "الدرّاجة مفخّخة، ستنفجر بعد ثلاث ثوان، فلا يبقى من ذراعي الولد شيء. أنتَ الولد". وفي صورة رابعة، عملاق مُتعرِّق يأكل حديقة الشاي الصغيرة التي أمام بيت صغير، ويقبض بيده الضخمة على أمّ لأربعة أطفال، يعضّون أصابع قَدَمَيه، ويمصّون دمه بأسنان مُروّسة. العملاق في الصورة طيّب، ولا يمكنكَ إلا أن تتعاطف معه. وأسفل الصورة كتابة تقول "الأمّ تموت. أنتَ لستَ الأمّ. أنتَ لستَ الأطفال الأربعة. أنتَ العملاق". وفي صورة خامسة، طفل رأسه عالق في ابريق جلو، وأيدي أطفال آخرين تضغط على رأسه من الخلف؛ كي يظلّ داخل الابريق. الطفل لا يُبدي أية مقاومة وفي الصورة يبدو أنه لفظ أنفاسه الأخيرة. الملحوظة تقول "أنت الطفل الثالث إلى اليمين، تضغط بيدكَ على رأس طفل الجلو كبقية الأولاد كما ترى. لكنك لا ترغب بذلك في الحقيقة. أي حيوان ستكون لتنقلب على أصدقائكَ المزوّدين بسكاكين، وتساعده على إخراج رأسه من الإبريق؟".

المعلّمة تضع الصور أولاً على الطاولات أمام الأطفال، وعليهم أن يمعنوا النظر فيها. ثمّ تعيد توزيعها بطريقة أخرى. تُكرِّر الأمر ثلاث أو أربع مرّات. فأمامها كل الوقت. ساعتان ستكونان كافيتين جداً لثمانية أطفال؛ كي يتخيّلوا أوضاعاً مروّعة، هم فيها، ثمّ ينتقوا الحيوان الذي يعتقدون بأنهم لو

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

ساروه، سينفذون من المأزق. المعلّمة تُقدِّم لهم تلميحاً نفسياً للمساعدة "تخيَّلوا أنكم مفزوعون. في أي مكان. في البيت، في الدكّانة، في ملعب كرة القَدَم الكبير، وعلى مدخل المدرسة، أو حتّى في حفلة عيد ميلادكم. ركّزوا على شعوركم بالفزع. اجعلوه كبيراً هائلاً، وانتقوا مكاناً في الوقت نفسه. أي مكان يخطر ببالكم. وألّفوا قصّة". مع ذلك، تضيف لتطمئنهم، وهي تثبّت عينيها على علبة بونبون بالفواكه والكراميل على الطاولة "اعلموا فقط أن ما سوف تتخيّلونه لن يكون حاصلاً في هذه اللحظة. ليس حاصلاً لكم. بل لآخرين. في مكان بعيد جداً من هنا. أما أنتُم؛ فأنتم حقاً بخير حتّى إن بإمكانكم تناول بونبون بالفواكه والكراميل متى شئتُم".

المعلّمة تريد بالصور التي وزَّعتْها على الأطفال، أن تجعل للأوضاع المروّعة التي سيتخيَّلونها سياقاً بريئاً نوعاً ما. تطلب منهم أن يُغمضوا أعينهم، وأن يسردوا مُغمِّضين ما يتخيّلونه. والأطفال يمتثلون فوراً لأوامر المعلّمة. أعينهم الصغيرة تُغلق بسرعة. ويسود الصمت. كما لو أنهم متحمّسون للتعرّف على الشعور الحقيقي بالفزع. وبعد دقائق، ينطلق الأكثر جراة بينهم في سرد ما تخيَّلَه. يقول إنه تخيّل نفسه يتسلّق شجرة، لكنه تاه بين فروعها وأوراقها الكثيفة رغم أن الشجرة صغيرة. لم يعد بإمكانه الخروج منها. يقول إنه يظنّ بأنه أُصيب فعلاً بالذعر. إلا أن قصّته تتوقّف هنا؛ لأنه في حيرة من أمره. يفتح عينيه عند هذه النقطة، ويقول إنه لا يعرف أي حيوان عليه أن يصيره؛ ليخلص من هذا المأزق. لو تحوّل إلى قطّة، فإن أخاه الكبير سينظر إليه من تحت، وسيقول "كيف هو مذاق لحم هذه القطّة؟". لأن أخاه دائماً هكذا. كلّما صادف كلباً أو قطّة، يبدأ بالتفكير فوراً في مذاق لحمها. "لا يمكنني أن أصير قطّة. لو صرتُ قطة، فسأخاف أكثر ممّا أنا خائف الآن". تقول المعلّمة للطفل "لماذا لا تتخيّل نفسك سعداناً؟". لكن الطفل لا يمكنه أن يتخيّل نفسه سعداناً، لأنه لا يريد أن ينتهي به الأمر مثل ذلك السعدان في مدينة الملاهي، الذي يحمل مقبضين موصولَين بجنزير "نونتشاكو" مثل الذي اشتهر به بروسلي، يقذفه

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

الأولاد الصغار بالفريز المُخمِّج، ويضحكون عليه؛ لأنه عاجز عن صَدّ حبة فريز واحدة.

الوضع المروّع الذي يتخيّله طفل آخر، أنَّ أمّه وفي أثناء ولادتها له، تنهض عن السرير – بمشقّة طبعاً - وتتّجه إلى الشرفة، وتقفز منتحرةً. المعلّمة يبدو عليها التأثّر. عيناها تدمعان قليلاً حتّى إنها لا تسأل عن الحيوان الذي سيصيره هذا الطفل للخلاص من هذه المعضلة. تقول "هذا جميل وحسّاس. برافو!". لكن الطفل يُكمل موضحاً بارتباك، إن هذا ليس بالضبط ما هو فزعان منه، هو سيحبّ أن يظلّ نائماً داخل بطن أمّه النائمة. لكنه فزعان من أن يهرع رجال الإسعاف لسَحْبه من بين فخذيها. المعلّمة توضح له أن ذلك إن حدث، فسيحدث في الشارع، وعلى مرأى من الجميع. يعني أن الطفل سينال قسطاً كبيراً من الحبّ وتعاطف مارّة مجهولين، لن يلتقيهم مجدّداً طوال حياته، وهذا ملامس للمشاعر، ولا يحدث كل يوم. لكن الطفل يقول إنه لا يريد ذلك. لا يريد أن يُخرجه أحد من بطن أمّه؛ لأن ذلك سيكون مؤلماً له. يقول إنه ما يزال يعاني من أوجاع من جسمه ورأسه؛ لأنهم أخرجوه بالقوّة حالما ولدتْه أمّه.

المعلّمة تدرك أن لحظة الولادة هي المأزق الحقيقي لهذا الطفل. مصدر الفزع الأهمّ. وحين تسأله لماذا فكّر بهذا المأزق، يقول إن أمّه جعلتْه في البيت يرى من أين خرج. بعد أن تشاجرتْ مع أبيه، وخرج من البيت مهدّداً بتطليقها وأخْذِ الطفل، تمدَّدتْ على الأرض، وشلحتْ كيلوتها، وفتحتْ ساقيها، ثمّ أشارت إلى شقّ بين فخذيها، يشبه بالوناً صغيراً مجعّداً. وقالت له "من هنا خرجتَ. هل تفهم؟ فلتذهب مع أبيكَ. لكنْ؛ تذكَّرْ هذا دائماً". لذلك، هو لا يريد أن يخرج مرّة ثانية، كما حدث معه في المرّة الأولى. يقول "عندما قفزتْ ماما عن شرفة البيت، وهي تلدني، نزل بابا إلى الشارع، لكنه بدلاً من أن يُنقذها، أخذ يضغط على بطنها، وهي غائبة عن الوعي، ثمّ سحبني بالقوّة. أنا لا أريد ذلك. هذا ما يخوّفني، كلّما فكّرتُ فيه".

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

والحيوان الذي يريد الطفل أن يتحوّل إليه هو القنفذ؛ أن يكون قنفذاً صغير بأشواك كبيرة. الأشواك ستحول دون إخراجه إلى العالم. مهما حاول أبوه. لكن المعلّمة توضح له أن الأطبّاء يمكنهم أن يشقّوا بطن الأمّ قليلاً، ويُخرجوا الجنين. وهذا سهل. فيفكّر الطفل قليلاً، ويقول "حسناً. سأتحوَّل إذنْ إلى قنديل بَحْر؛ لأن قنديل البحر يذوب. رأيتُ ذلك على الشاطئ".

بعد ذلك، ترفع طفلة شجاعة يدها. تتخيَّل وضعاً مروّعاً، لا يمكن للمرء التحوّل فيه إلى أيّ حيوان. لأن ذلك لن يفيد. الطفلة تقول إنها عندما أغمضت عينيها، رأتْ نفسها في دعاية. وبأنها في الدعاية كانت تُقدِّم الغرض الذي تحلم به كل يوم. تقدِّمُه للعالم الذي يكون في تلك اللحظة جالساً أمام التلفاز يشاهد دعاية القرن. تقول الطفلة "العالم كله". والمعلّمة تفهم أنها تعني المسنّين في مأوى العجزة، والأطفال في دور الأيتام، وحتّى جرحى الحروب، وأولئك الذين لديهم أمراض مزمنة، ومن غير المسموح لهم بمغادرة المستشفيات أو المصحّات، كما تلاميذ المدارس الداخلية، والناس العالقين في الملاجئ أو المناجم مثلاً. كل هؤلاء سيكونون قد أُخرِجوا من أماكنهم، لبضع دقائق فقط، من أجل أن يشاهدوا الدعاية. "محَّاية!"، ينطلق صوت الطفلة بحماسة. هذا ما تريد تقديمه للعالم. لكنها ليست محَّاية عادية أبداً. في الدعاية، تكشف الطفلة أولاً عن ذراعيها، ثمّ تبدأ بحكِّ جلد ذراعيها بالمحَّاية. وذلك قد يستغرق بعض الوقت. لكنْ؛ قبل أن يداهم المَلَل أيَّاً من المشاهدين، يرى كل العالم المتفرّج كيف أن أجنحة صغيرة، أجنحة بلا لون، كأجنحة اليعاسيب، لكنْ؛ بطول أوراق الزيتون، ألف أو ألفي جناح – حسب عدد مرّات حكّ الذراعين – بدأت بالظهور على ذراعيّ الطفلة. وكيف أن وزن جسمها أصبح خفيفاً، بوزن مسطرة. وصار بمقدورها أن ترتفع عن الأرض، ثمّ تطير إلى أن تخرج نهائياً من شبّاك غرفتها؛ حيث يُصوِّرون الدعاية، ويختفي أثرها من الدعاية كلها. فلا يعود بإمكان أي من المشاهدين أن

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

يراها. إلى هنا، تبدو الدعاية ناجحة جداً، فالمشاهدون يكونون قد صفّقوا أمام التلفزيون ما إن رأوا الطفلة تخرج من شبّاك الغرفة في الدعاية، وتختفي عن الشاشة. وهذا أمر نادراً ما يحدث. الناس قد يصفّقون لفيلم أو خطاب سياسي، لكنْ؛ ليس لدعاية.

تقول الطفلة إن هذا ليس كل شيء، فهدف هذه المحَّاية السِّحْرية، ليس أن تخلّي المرء قادراً على الطيران؛ لأن الطيران أصبح بمتناول الجميع. بل أن تجعل له شخصية كشخصية ملاك. الأمر متعلّق بالشعور الذي يكتسبه بعد أن يحكّ ذراعيه بالمحّاية. عليكَ أن تجرّبها؛ لكي تعرف ماذا تقصد الطفلة. هذا يعني أنه لن يكون ضرورياً بعد الآن أن يُصاب المرء بمرض مزمن، أو يصير مسنّاً أو جريحاً؛ كي ينظر الآخرون إليه على أنه ملاك. وهذا يعني أن الأمراض وكبر السّنّ لن يعود لها وجود؛ لأن الطفلة تعتقد أن الإنسان لا يمرض أو يصير طاعناً في السّنّ إلا لكي يعامله الآخرون كملاك. وأن هذا هو الهدف الرئيس لوجوده في الحياة.

لكن الوضع المروّع الذي تواجهه الطفلة هو أن المحَّاية تعمل مع كل الناس، إلا هي. معها، تعمل المحَّاية فقط في الدعاية. هذا يعني أن على الطفلة أن تكون دوماً داخل الدعاية؛ لكي تطير وتكتسب شخصية ملاك. بخلاف الناس، الذين يشترون المحَّاية، ويمكنهم استعمالها أينما شاؤوا، وفي أيّ وقت. والطفلة تجد أن عليها أن تعيش ما تبقّى من حياتها وحيدة داخل الدعاية، إذا ما أرادتْ أن تتمتّع بشخصية ملاك طائر. وهذا هو الوضع المروّع. ولا يمكن للمرء أن يتحوّل إلى أيّ حيوان في هذه الحالة للخلاص من هذا المأزق. المعلّمة تستغرق في التفكير في هذه المسألة. تحاول مساعدة الطفلة الصغيرة. إيجاد الحيوان المناسب لهذه المعضلة. لا نعلم لماذا لا تعمل المحَّاية مع الطفلة إلا في الدعاية. والمعلّمة لن تسأل عن هذا. فالمهمّ هو المعضلة بحدّ ذاتها. المأزق الطفولي. وهذا ما يكون قد تحقّق هنا.

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

أحفور أب وابنه في حالة عناق

ابني هو الطفل الوحيد الذي يبدأ في البكاء حالما تقترح المعلّمة على التلاميذ هذا التمرين. لا يُلقي حتّى نظرة واحدة على الصورة التي أمامه. الأطفال الآخرون ينظرون إليه مستغربين. بعضهم ينتابه الخوف، وآخرون يبتسمون بارتباك، أو لا يجدون على الإطلاق ما يُعبِّرون به. ولا حتّى بإشارة واحدة من ملامحهم أو أكفّهم الصغيرة. تخيُّلُ وضع مروّع بالنسبة لطفل هو أكثر سهولة من أن يجد نفسه وجهاً لوجه أمام طفل مثله، مثله تماماً، يبكي مُتكوّراً في الزاوية، ودون سبب مفهوم. سيودُّ في تلك اللحظة لو كان بإمكانه أن يفرد زميله، ويقيم داخله؛ ليرى ما الذي يجعله يبكي، كالبيوت التي بعد أن نضعها أرضاً عن الكتف، نفتحها، ونسكنها، ونتأمّل كل ما في داخلها. المعلّمة تتوقّع أن يحدث هذا. إن طفلاً واحداً على الأقل سيبكي أو سيستعيد حادثة ما، خاصّة به أو بأمّه أو بأبيه. وهذا جيد؛ إذ من شأنه أن يحفّز بقية الأطفال على تخيّل وضع مروّع، يكون قريباً جداً من الحقيقة.

وسط بكاء ابني، تطلب المعلّمة بهدوء من الأطفال أن يحزموا حقائبهم؛ لأنهم سيعودون في غضون دقائق إلى منازلهم. ما يعني أن الأطفال الذين لم يُسعفهم الوقت لتخيّل وضع مروّع في الصفّ، سيكون عليهم القيام بذلك في البيت، كواجب مدرسي. كلّما بكوا أكثر، كان أفضل؛ لأن قصّتهم عندها ستكون أكثر حقيقية. تقول لهم "والآن ستعودون إلى بيوتكم، ولا فروض إضافية، من أجل أن يكون لديكم كل الوقت؛ لتفكّروا بوضع مروّع. اجعلوه مُفزعاً عن حقّ". سيكون عليهم أن يعودوا في اليوم التالي إلى المدرسة كاتبين ما تخيّلوه بمساعدة أحد أولياء أمورهم.

عندما يُخبرني ابني بذلك، أفكّر بالأمر. أفكّر ملياً. أقول لا شكّ أن لديهم في المدرسة رؤيا. إجراء احترازي. كما يفعل ربّ البيت حين يضطر لأن يقنص وهو جالس على شرفته قنفذاً بعيداً، رصده بتلسكوب ابنه البسيط. أعرف ما ستقوله المعلّمة لو اتّصلتُ بها: "نحن نرى في التلفاز

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

كل يوم عشرات الأطفال المفزوعين حول العالم. لا نقول بأننا نريد أن نجعل من العالم مكاناً آمناً للأطفال. هذا غير ممكن. لذلك، نريد أن نجعل من الأطفال رجال إسعاف صغاراً. خلاّقون. يفكّرون. يبتكرون طريقة؛ طريقة عمليَّة للخلاص. نحن نعيش في عالم يتأخّر فيه دوماً وصول البالغين". أجل. ستسمعُني هذه العبارة المكتوبة على لوح نحاسي عند مدخل المدرسة. ويمكنكَ أن تجدها على تابلوه الأوتوكار أيضاً. ابني في واحدة من أفضل المدارس. منهجها اسكندنافي، وفيها بركة سباحة ومادّة دراسية رؤيوية، تُسمّى "كيف نُنقذ أنفسنا؟".

وهكذا، أمضي فترة بعد الظهر برفقة ابني، ونحن نتمرّن على وضع مُروّع، يمكن له أن ينوجد فيه. أحاول أن أقترح عليه أفكاراً لأوضاع مُروّعة، فيقول لي إنه لا يتحمَّلها. "من أين تأتي بهذه الأفكار، يا بابا؟"، يسألني بالنبرة التي نروي فيها نكتة لمريض. تنتابني رغبة في أن أحتضنه بقوّة. لكني لا أفعل. وكما لو أنني أحادث صديقاً في البار، وأمامه أعترف بإثم ارتكبتُه في الماضي - محاولة انتحار مخفقة، أقول إنني أوافقه الرأي بأنها أفكار لا تناسب الأطفال، وإنني فعلاً مخطئ، ولابد سأشعر بالندم قريباً. لكنه يقول "ربمّا باقي الأطفال في الصفّ لديهم أفكار مثل هذه أيضاً". لطالما كنتُ قريباً من ابني. حين ننام، فإن رأسينا يظلان متلامسين. كأننا توأم سيامي، له دماغ واحد في جمجمتين. أما حصّتي من ذلك الدماغ؛ فهي الخلايا التي تفكّر بصورة مشؤومة. صحيح أن ابني لم يقل لي يوماً "أحبّك، يا بابا"، لكننا قريبان فعلاً. وأعرف بأنه سيأتي إليّ يوماً ما من تلقاء نفسه، ويعانقني بقوّة، ويقول لي "أحبّكَ، يا بابا. لطالما أحببتُكَ. بل إن كل ما أفكّر فيه هو هذه الجملة: 'أحبّكَ، يا بابا. أحبّكَ، يا بابا. أحبّكَ، يا بابا..'. كأنها تُشغّل برنبرك في رأسي. بينما كان الأطفال الآخرون ينظرون إلى الصور في الصفّ، كنتُ أفكّر بكَ فقط. وهذا ما خلاّني بكيتُ. هل حدثتْ لكَ أشياء مروّعة، يا بابا؟". يطرح عليّ هذا السؤال، ثمّ لا أجيب، فيحتضنني بقوّة شديدة، وأنا بدوري أعانقه متأثّراً، ونظلّ على هذا الحال لبعض الوقت، حدّ أننا،

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

لو حصل فيضان رملي في تلك اللحظة، محتملٌ جداً أن يجدنا بيولوجي بعد خمسة آلاف عام من الآن على شكل أحفور لأب وابن في حالة عناق.

الجرذان التي لحستْ أذنَي بطل الكاراتيه

لكنْ؛ لا ابني يقول شيئاً من هذا كله، ولا نحن نتعانق. بل يقف على مسافة آمنة مني، ويتفحّصني بعينين مضطربتين، كمَن يتفحّص كلبه الأليف والضخم الذي على وشك أن يصاب بنوبة ذعر، ويتحوّلَ إلى لعبة قطنية. أعرف أنه يفكّر بأنني يمكن أن أنقضّ عليه كما انقضضتُ على ذلك الولد في عيد الشجرة. ذلك الولد كان يحمل شبهاً كبيراً من ابني. بزيادة بضعة كيلوغرامات وثلاثة أو أربعة سنتمترات، حتّى إن ابني بدا مجرّد نسخة تافهة ومصغّرة عنه. والحقيقة أنني لم أنتبه لذلك كله في البداية. كان هناك عرض لدمية من قناني مياه الشرب الفارغة، رأسها مقصّ أشجار بلاستيكي، وذراعاها جزّازتا عشب صغيرتان. طُلب من الأولاد أن يهزموها. تقدّم ذلك الولد منها محاولاً إسقاطها أرضاً بحركة جودو. كان لابساً بدلة كاراتيه. فلفتَ ابني انتباهي للأمر. صحيح أن الأطفال لا يستطيعون تمييز طفل ما يشبههم، فلا يقولون مثلاً "بابا، هذا الولد يشبهني كثيراً"، لكن ابني فعل ذلك. قال لي "بابا، هذا الولد ببدلة الكاراتيه يشبهني. يشبهني كثيراً. انظرْ إلى وجهه وشعره. انظرْ حتّى إلى أصابع يديه". كان صحيحاً تماماً ما قاله. وأغاظني ذلك. قلتُ "ما رأيكَ أن نعزمه إلى البيت؛ كي يشاهد معنا كرتونز 'تاكس أقري؟'". والولد لم يتردّد في قبول الدعوة. كما لو أنه لم يكن متواجداً في احتفال عيد الشجرة إلا لكي يلاحظ شخصٌ ما شبهه بابنه، فيُدعوه إلى بيته لمشاهدة الكرتونز، حتّى إنه سأل بكل شجاعة، كما لو أنه يطلب أن تكون الإجابة "نعم"، إذا ما كان عندنا تلك الجبنة الحمراء التي تسيح في الفرن عندما تضعها على الخبز.

في الطريق إلى البيت، لم يتوقّف عن الثرثرة. لكن كلامه كله كان موجّهاً إليّ. هل أجرؤ أن أتسابق وإيّاه ركضاً؟ هل يمكنني أن أجسّر ظهري إلى

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

الخلف، وعلى بطني ثلاثة كيلوغرامات؟ هل بإمكاني أن أفتح قبضة يده المضمومة؟ لم يتوجّه بكلمة واحدة إلى ابني. ما زاد من حنقي. عندما نزداد حنقاً على أحد، فإنه يصبح غريباً أكثر. مهما كان قرب صلته بنا.

وما إن وصلنا مبنى كان في السابق مصنعاً لصنف واحد من البسكويت، حتّى انقضضتُ على الولد. أخرجتُ سكّيناً "ستّ طقات"، وأجبرته على دخول المبنى أولاً. ثمّ تبعتُه أنا وابني. أوقفتُ ابني مقابل الولد، ووقفتُ بينهما من مسافة. كمثلّث. ثمّ طلبتُ من ابني بنبرة رجل عصابات أن يروح لعنده، وينهال عليه بالضرب. كان الولد يرتعش كسمكة في بدلة كاراتيه. لم يكن فاهماً ما الذي يحدث. لكن ابني لم يُنفِّذ ما طلبتُه منه. تسمَّر في مكانه مشدوهاً كأبله. وراح يرتعش بدوره. وسألني "لماذا عليّ أن أضربه، يا بابا؟ ما الذي فعله؟". "إنه يشبهكَ. لهذا عليكَ أن تضربه. هكذا هي الحياة. علينا أن نُشبع ضرباً كل أولئك السَّفَلَة الذين يشبهوننا. عندما تكبر ستفهم ماذا أعني". أظنُّ أن ذلك كان أول تمرين لابني بأن يفكّر كحيوان. لكني لم أنتبه لذلك في تلك اللحظة. لم أنتبه للأمر إلا الآن، فيما أفكّر معه بوضع مروّع للمدرسة. ظللتُ مسيطراً على الولد المذعور بسكّينة الـ"ستّ طقات" كما لو أنها ريموت كونترول، وأخذتُ أشرح لابني بأن كل تلك الحروب التي نسمع عنها، لا تحدث إلا بين أناس يشبهون بعضهم البعض. ذلك أن لا أحد يحبّذ فكرة أن يكون هناك شخص آخر شبهَهُ. لكن ابني وبدل أن ينقضّ على الولد، تكتَّفَ، وانكمش على نفسه كمَن يمسكُ عصفوراً، بينما هو مصاب بالإسهال، ثمّ قرفص، وبعد ذلك انخفض جالساً في مكانه. طلبتُ منه أن ينهض، إلا أنه لم يكن حتّى ينظر إليّ. عندها اتّجهتُ إلى الولد وسكّين الـ"ستّ طقات" لا تزال في يدي، وهمستُ في أذنه "هذه اسمها لعبة عصابة الـ'بيجو' في مصنع البسكويت. وسنلعبها في غرفة الكهرباء بعد أن نأكل الجبنة، ونشاهد الكرتونز. هناك سيتبدّل اسمها. سيصير 'الجرذان التي لحستْ أذنيَ بطل الكاراتيه'، ما رأيكَ؟ ألسنا أنا وابني فريقاً مسلّياً، ككلب وسيِّده؟". لم أرَ ذلك الولد مجدّداً، لا أنا ولا ابني. لا في الحديقة ولا في أي مكان آخر، كما لو أن شبحاً تبوَّلَ عليه.

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

التفكير في حيوان ما

أفكّر بهذه الآن. أقول لابني ونحن نتبوّل معاً في كرسي الحمّام "لم لا نتخيّل وضعاً مروّعاً يتعلّق بنا نحن الاثنين في الوقت نفسه؟ سيكون هذا أكثر ألفة لكلينا. أليس كذلك؟". ويهزّ رأسه كمَن يستسلم. وأنا أفهم أن ذلك يعني بأنه موافق. لكنه، وبينما يقلّدني في نفض حمامته من البول، يسأل "بابا، ما الحيوان الذي كنتَ ستتحوّل إليه، لو كنتَ مكان ذلك الولد ببدلة الكاراتيه؟"

"لماذا تدع رأسكَ يفكّر في ذلك الولد الآن؟"، أقول.

"رأسي لا يفكّر في الولد، يا بابا. رأسي يفكّر بكَ أنتَ.. ماذا ستفعل أنتَ، لو كنتَ مكان ذلك الولد؟".

أجاوب كاذباً "يُفرحني هذا السؤال! لكنْ؛ بما أنني لا أذهب إلى المدرسة مثلكَ، فلديّ الوقت للتفكير واختيار الحيوان الذي سأكونه، لو كنتُ في مكان ذلك الولد!".

كاحلان منتفخان ككريمه الموس

ما لا أقوله لابني هو إنني قبل أن أتحوّل إلى حيوان، كنتُ سأفعل شيئاً أحبّه كثيراً. سأفعله للمرّة الأخيرة. لأن التحوُّل إلى حيوان أمر لا رجعة عنه في هذا العالم. إنه أشبه بأن تدفع مالاً للإصابة بمرض ما. مرض قوي، يُوفِّر عليكَ هدر الكثير من المشاعر. يُوفِّر عليكَ أيضاً انتظار ذلك النوع من المشاعر الأخرى، المشاعر الحقيقية المبرّرة. المشاعر القوية التي ليست أبداً كالشفقة. الشفقة انفعال عندما نشعر به، فلأننا لا نتحلّى بشجاعة كافية لنقترح شيئاً آخر. أتخيَّل أنني في مصنع البسكويت ذلك، مكان الولد ببدلة الكاراتيه. وأن الولد ببدلة الكاراتيه هو الذي يُشهر سكّين الـ"ستّ طقات" في وجهي، وأنه هو مَن يطلب الآن من ابني، وبنبرة صبي عصابات، أن يروح لعندي، ويبرحني ضرباً؛ لأنني أشبهه. يقول لابني "حتّى

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

لو كان السافل الذي يشبهكَ هو أبوكَ نفسه، فإن ذلك لا يعفيكَ من أن عليكَ أن تبرحه ضرباً". لكن ابني هنا لا يتسمَّر في مكانه كالأبله، ولا يرتعش، بل يتقدّم مني، كما لو أنه هذه المرّة مقتنع تماماً بما عليه القيام به، والأمر لا يتعلّق فقط بمسألة شبهي الشديد به، بل ثمّة سبب آخر يدفعه لذلك، وضع مروّع فعلاً يتعلّق بنا نحن الإثنان، وهو الآن يفكّر به ملياً، ويزمُّ عينيه. يستعيد كل تفاصيله. وبينما أطلب منه أن يُعانقني، وأن يقول لي "أحبّكَ، بابا. أحبّكَ، بابا. أحبّكَ، بابا.." ينهال عليّ بالضرب. يُركِّز بقبضتيه الصغيرتين على كاحليِّ قدميَّ الاثنتين، حتّى ينتفخا بسرعة، وبشكل لافت. كما لو أن كاحليّ من كريمه شوكولا الموس. لكنهما يغدوان ضخمين وثقيلين، ولا يمكن لأي حيوان أن يتحرّك بكاحلين بحجم كهذا. والألم أسوأ من تعرّضهما للكسر. والمسألة لا تستغرق ابني الكثير من الوقت لفعل ذلك. ثمّ أنظر إلى عينيه، وأعرف أنه أمضى كل طفولته حتّى لحظة دخوله مصنع البسكويت برفقة الصبي ببدلة الكاراتيه، وهو يفكّر بالأمر. لكني في أثناء ضربه لي، أخفق في التحوّل إلى أيِّ حيوان ممكن؛ لأخلِّص نفسي. كما لو أنني لا أريد ذلك حقاً. ثمّ يقول لي قبل أن يستدير هو والصبي ببدلة الكاراتيه، ويخرجا من مصنع البسكويت "هذه اللعبة اسمها أن نترك بابا، الذي له كاحلان ضخمان، في الخزانة بجانب صندوق الألعاب".

أتخيَّل هذه الحادثة. أتخيَّلها مراراً. كما لو أنني أعرف بأنها قد تحدث فعلاً. قد تحدث في أي يوم. حتّى إنني أحياناً، حين أصطحب إبني من المدرسة، أتعمّد المرور بجانب مصنع البسكويت لإفساح المجال لحدوثها. لكن ابني لا يعرف السبب. يسألني "لماذا نمرّ دوماً قرب مصنع البسكويت؟"، أقول "لأنني أريد الاعتذار من الصبي ببدلة الكاراتيه. لقد كنا سيِّئَيْن معه". بل يسمعني بالفعل أدمدم "أعتذر". لكنْ؛ ليس للصبي ببدلة الكاراتيه، بل لوالدة ابني، زوجتي. التي تركتُها في ذلك اليوم مختبئة في صندوق الألعاب في الخزانة. كنا وقتها نلعب الغمّيضة ثلاثتنا. واقترحتْ هي أن تكون اللاعب الذي عليه الاختباء، وأن نكون أنا وابني لاعباً واحداً،

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

عليه أن يفتّش عنها. تغامزتُ معها. وقفتُ أنا وهو في زاويتين متباعدتين من زوايا البيت الواسعة. وأغمضنا أعيننا. وكان علينا أن نعدّ ببطء من الصفر إلى خمس وعشرين. لكنْ؛ ما إن أغمض ابني عينيه، حتّى تسلّلتُ من زاويتي: لأضعَ أمّه في صندوق الألعاب الذي في الخزانة. لقد كانت مصابة بسرطان في مفاصل القَدَمين. وكانت عظام كاحليها شديدة الانتفاخ. حتّى إنها لم يكن بمقدورها المشي. كنتُ أتكفّل بنفسي بإدخالها إلى الحمّام، وشطف مؤخّرتها، وكنتُ أحفظ مواعيد دورتها الشهرية، وأحلق لها شعر أنفها ووجهها وساقيها وذراعيها وعانتها. طويتُها ببساطة، وأسقطتُها في صندوق الألعاب الكبير، ثمّ غطّيتُها بالألعاب، وهمستُ في أذنها "هل تتألمين؟". "قليلاً"، أجابت. "سنجدكِ بعد قليل. لستِ وحيدة"، قلتُ. ثمّ أغلقتُ الصندوق وباب الخزانة، كما طلبتْ هي، وعُدت إلى زاويتي متظاهراً بأنني أيضاً مغمِّضٌ عينيَّ. كانت سعيدة وتبتسم. وكانت تلك المرّة الأولى التي تغادر فيها الفراش منذ تفاقمت حالتها. أما أنا؛ فكنتُ مرهقاً محبَطاً في أعماقي. بل تمنَّيتُ لوهلة وأنا أغمض عينيَّ، لو أننا نفتح صندوق الألعاب أنا وابني، فلا نجدها. أن تتكفّل لعبة من تلك الألعاب التي لها شكل حيوانات فضائية ودودة بابتلاعها. لكننا لم نبحث في أي مكان في البيت عنها؛ لأن انفجاراً هائلاً دوّى في البيت - وقبل أن ننتهي من العَدّ إلى خمس وعشرين – مُحدثاً ارتجاجاً في أرجاء البيت وبعض الغبار.

كان ذلك سببُه سقوط قطعة من محرّك طائرة سوخوي في البلكونة مباشرة. لم نتوقّع أن يصيب أيّ من مضادّات الـ٥٠٠ ملم أيّ طائرة سوخوي. فهم دائماً ما يُطلقون النار عليها، ويُخفقون. توقّعتُ أن تقصف الطائرةُ المضادَّ، وتُنهي الأمر. إلا أن المضادّ كان له كلمة أخرى. وتحتَّمَ على الجميع مذعورين مغادرة البناية، والابتعاد قدر الإمكان عن المكان. فقد ظننّا أن الأمر أسوأ بكثير.

كان عليّ المغادرة طبعاً. لكني تسمَّرتُ لوهلة أمام الخزانة التي بقيتْ

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

مغلقة رغم هول الانفجار. لم ينفتح باباها. ولم أحاول فتحهما أيضاً. لم أمسّهما. كان ذلك بمثابة إشارة على أن شيئاً ما حاسماً يجب أن يحدث الآن. وكنتُ متأكداً من أن زوجتي ستعجز عن فتح الصندوق الذي أحكمتُ إغلاقَه، وأنا أخبِّئها، بتبكيل الحزامين الجلديين المتينَيْن المتدلّيين من سقفه إلى بدنه. لقد قرَّبتُ من الخزانة بالفعل، إلا أنني لم أسمع أية حركة أو جلبة من داخل الصندوق. الخزانة المغلقة وغياب أي دليل على رغبة زوجتي بالخروج من صندوق الألعاب وسقوط جزء من محرّك السوخوي في بلكونة بيتنا تحديداً، ذلك كله جعلني أشعرُ بأنها فرصتي، الفرصة التي تُديرها زوجتي المريضة بالسرطان من داخل صندوق الألعاب؛ لتقدّمها لي ولابني بكل سلاسة، من أجل أن أغادر البيت ريثما تقضي حتفها دون أن تُزعج أحداً. كما لو أنها تقول لي "سأوفّر عليكَ هذا الجزء من القصّة. أعرف أنك مرهق، محبَطٌ في أعماقكَ". مع ذلك، غادرتُ البيت وأنا أقول "أعتذر" همساً، وأوصد باب البيت بالمفتاح. ابني لم يسأل عن أي شيء. كان يحوط عنقي بذراعيه خائفاً، ويضع رأسه على كتفي، كما لو أنه يعرف كل شيء. كان يذرف الدموع فقط. غادرتُ حافي القدمين، وقبل أن نصل إلى مدخل البناية، قلتُ له "ماما الشقيّة مختبئة تحت، في مكان ما في الشارع. سيكون علينا أن نبتعد عن البيت قليلاً حتّى نجدها". وهو اكتفى بهزّ رأسه. كما لو أنه يعرف أيضاً أنني بعد سنوات من تلك الحادثة سأوهمه بأن أمّه قضتْ في انفجار سيارة ملغومة وراء البناية مباشرة، بينما كانت تختبئ خلفها، ونحن نلعب الغمّيضة ثلاثتنا.

بيت الأعواد الخشبية

ابني ولد مهذّب. بالكاد يتحدّث معي. هذا لأنه مهذّب جداً، بل وبسيط، لدرجة أنه لن يقول أبداً لرجل يشعر بأنه غريب "أحبّكَ، يا بابا، أحبّكَ، يا بابا، أحبّكَ، يا بابا". كالبيوت التي تجهدُ؛ لكي تفتحها، لكنك لا تُفلح. لأن نوعاً خاصّاً من الصمغ يكون قد حلَّ في فراغاتها. وهذا ما

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

يكون قد حصل: تفوزُ في المدرسة بجائزة أفضل وضع مرة [illegible] في الابتدائي، وتكون الجائزة بيتاً من أعواد الخشب، أعواد [illegible] كل ما تبقّى لكَ بعد أن انتهيتَ من أكل البوظة. لكن ابنك يكون [illegible] عن ذلك الحفل في المدرسة، لسبب ما. فتتسلّم أنتَ الجائزة. وعندما تعود إلى شقّتكَ، تجلس ومعكَ خريطة الإرشادات. تصفّ أعواداً فوق بعضها، وأعواداً أخرى قرب بعضها البعض، وهكذا. وعندما تنتهي، تجد أن البيت الخشبي آسر، تصميمه رائع، وبسيط وحسّاس. وفيه لمسة تُذكّر بالأمومة، حتّى إن بدنكَ يقشعرّ. تكتشف ذلك ما إن تنتهي من تركيب البيت. وتتمنّى لو كنتَ صغيراً قزماً سِحْريّاً؛ لتقفز في لحظة واحدة داخله، وتسكنه. حتّى إنه يثير فيكَ الرغبة في البكاء. يثير فيكَ إحساساً بأنكَ تفتقد شيئاً ما. فتذرف الدموع أمامه. والأمر نفسه يحصل في اليوم التالي عندما تعاود تركيب البيت مرّة أخرى. عدا أن البيت يكون قد انكمش قليلاً الآن. صار أصغر بعض الشيء. وأنت لا تحزر كيف حدث ذلك. الأعواد لا تزال في حجمها الصحيح، كما أن عددها لم يتغيّر، والتصميم أيضاً. تُفكّك البيت، ثمّ تُعيد تركيب الأعواد متبعاً الإرشادات بدقّة، وعندما تنتهي، تجد أن الأمر لا يزال على حاله، وأن المسألة محسومة: البيت اليوم بات أصغر حجماً حتّى ممّا كان عليه البارحة. ويستمرّ الأمر على هذا المنوال. يوماً بعد يوم، يصبح البيت أصغر حجماً عند الانتهاء من تركيب الأعواد، رغم أن الأعواد لا تزال في حجمها المعتاد، كما أن عددها لم يتغيّر أيضاً. إلى أن تصبح مع الأيام غير قادر على تمييز أي شيء في البيت الخشبي. ولا يعود يثير فيكَ الآن أي رغبة في البكاء، أو إحساساً بأنكَ تفتقد شيئاً ما. لا تذرف الدموع، ولا يقشعرّ بدنكَ، ولا شيء. وهنا تشعر بالحنق. بأن ذلك كله حدث لخداعكَ. وعندما تحاول فَكْفَكَةَ الأعواد، وفَتْحَ البيت، تُخفق. قل إنه لا يكون بمقدوركَ أن تفعل ذلك. لماذا؟ لأن الصمغ يكون قد بدأ يتسرّب من الأعواد بشكل مفاجئ. صحيح أن الأعواد خشب ميت، وأنها من المُفترض خالية الآن من أي صمغ شجري، لكنْ؛ في حالتكَ،

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

فإن الصمغ يكون قد تسرّب الآن من الأعواد - وجفَّ بسبب قوّة أنفاسك الغاضبة وسرعتها - وسدَّ كلَّ ما في البيت. وهذه هي الحقيقة، البيت الآن صغير جداً، كقبضة قزم سِحْري مضمومة على برعم نعناع. وأنت لن تشعر بأي شيء، مهما أطلتَ النظر إليه. لا تستطيع تمييز ما يمكن أن يثير حساسيّتكَ كما في السابق. ثمّ تشعر بأنكَ تطفو فوق البيت، بأنكَ تفرغ من وزنك شيئاً فشيئاً، لكنْ؛ كلّما فرغ وزنكَ، أصبحتَ أكبر حجماً، وعملاقاً، وتكون ارتفعتَ قليلاً عن الأرض. والخلاصةُ عملاقٌ يطفو بشكل دائري فوق بيت خشبي صغير من الأعواد. ثمّ يسقط إظفر من إصبعكَ، وأنتَ تحكُّ عينكَ مستجدياً دمعة، والإظفر يسقط، ويصيب بلكونة البيت الخشبي الصغير، وللمفاجأة، يخلعها من مكانها!

دبدوب فضائي

أقول لابني، ونحن نخرج من الحمّام متَّجهَيْن إلى غرفته، غرفة نومه "حسناً، هل نفترض الآن بأنّكَ نفضتَ حمامتَكَ جيداً من البول؟"

"أجل، بابا! جيداً جيداً!".

"هذا أفضل. لأن الوضع المروّع الذي سوف نتخيّله يستوجب أن تكونَ نظيفاً تماماً، وأن لا يكون هناك أيّ بول في حمامتكَ. فنحن نريد أن ننال علامة جيدة في المدرسة، أفضل علامة!".

يهزُّ رأسه، كما لو أنه يريد أن يقول "أنا جاهز". لكنْ؛ بما أنه لا يعرف كيف يقول ذلك، يسأل بصوت خافت "هل سأخاف؟"

"لا. لن يكون هناك أيُّ خوف إطلاقاً. بل سنتسلّى؛ لأن الوضع المروّع سيحدث بينما تكونُ أنتَ نائماً. لذلك، لن تشعر بشيء. بل ستحسّ بأنني الإنسان الوحيد الذي أنتَ ممتنّ له على هذه الأرض. ستقول لي "شكراً" في قرارة نفسكَ؛ لأن ذلك ألطفَ وضع مروّع، يمكن لتلميذ إبتدائي أن يتخيَّله".

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

"حسناً، بابا، لكنْ؛ خلِّني قريباً منكَ"، يقول، وأنا أمدّده على الـ...

"بالتأكيد. أصلاً، سيكون عليّ التحوّل أنا نفسي إلى حيوان لإيقاظك آمناً. لكننا عندما نروي الحكاية في المدرسة، سنقلب الأدوار! سنقول للمعلّمة بأنني أنا مَن يحصل له الوضع المروّع، وأنت مَن يكون عليه التحوّل إلى حيوان برّيّ لإنقاذي!".

يبدو الآن متحمّساً، كما لو أنه على وشك أن يستمع لقصّة خرافية، لم تُروَ من قبل. أغتنم الفرصة، وأبدأ بالقول:

"ما رأيكَ لو تخيّلنا معاً أن لعبة فضائية على شكل حيوان ودود قد ابتلعتْكَ. دبدوب فضائي يكون غير مُؤذ. ونعرف ذلك لأن اسمه مدروز بالإنكليزية على ورقة صغيرة مقلوبة داخله: "This is the alien teddy bear"، وأن الأمر يحدث بينما أنت نائم. فذلك أكثر سهولة؛ لأن الناس عندما ينامون، ينكمشون ويغدون أصغر حجماً. الأشياء التي تزعجنا فيهم لا تعود بائنة، تنقشط عنهم. يصيرون أقزاماً سِحْريين. كما لو أنكَ تكون قد شددت المغّيْطة السّرّيَّة التي تتدلّى من أسفل سلسلة ظهورهم. في تلك اللحظة إذنْ، وبينما أنت تغطُّ في نوم عميق، وتكون غدوتَ أصغر حجماً، يهبط الدبدوب الفضائي في التتخيتة. أكون أنا مستيقظاً - فلنقل - أفكّر بوالدتكَ. أسمع ضوضاء خافتاً، أتسلَّقُ التتخيتة، وأكتشف الدبدوب. أجده عالقاً بين الشواكيش والأزاميل ومفكّات البراغي الثقيلة في شنطة السمكريَّة. أخلِّصه، وأنزله متحمّساً؛ لأريكَ إيّاه، وبينما أنفض غبار الموادّ فضائية العالق في وبره، وأضعه فوقكَ، وأنت نائم، فيفلت من بين يديّ، ويبتلعكَ. وتصبح وأنت تدخله طفلاً صورتُه مضلّعة. كما لو أنكَ مصنوع من أقلام تلوين قابلة للأكل. يبتلعكَ الدبدوب. وللحقيقة، الأمر لا يبدو مرعباً على الإطلاق، أو حتّى مزعجاً. بل يحدث بسلاسة، وبشكل أخّاذ، ومدهش؛ بحيث إن راحتَيْ يديَّ تُنمِّلان من فرط جمال المشهد، ولا

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

تنتابني أية رغبة للقيام بأيّ شيء للحؤول دون ذلك، حتّى إنني أتمنّى لو كانت أمّكَ موجودة؛ لترى ذلك أيضاً".

أسأله إن كان يثق بي. فلا يجاوب؛ لأنه كطفل، لا يعرف ما الذي يعنيه سؤالي. ألاحظ أن خيطاً من اللعاب يُنقِّط من فمه. أرفعُ ذراعه المَرْخوّة، إلى شفتيه، وأمسح بكُمّ بيجامته التي ارتداها بعد أن تبوّلنا معاً اللعابَ المتدفّق. أقول "لنتّفق على أنكَ تثق بي كثيراً، جداً، حتّى إنه يمكنني أن أفعل بكَ ما أشاء! أوكي؟"، ثمّ أمضي وقتاً، وأنا أفهمه بأن الدبدوب عندما يبتعله سيكون ذلك خلاصاً له. "أنت نفسكَ تريد أن تظلّ طفلاً. لكنكَ لن تُدركَ ذلك إلا بعد سنوات طويلة". وهو الأمر الوحيد الذي لم يستطع البشر أن ينجحوا في تحقيقه حتّى الآن. حتّى عندما يخترعون تلك الألعاب كلها، يدّعون بأنها ليست من أجلهم، بل من أجل الطفولة. لكن هذا كله لأنهم مُحبَطون. ومع تعاظم نقمتهم يصبحون أشراراً. وتجد في كل يوم بالغاً ما يثأر من طفل ما. لذلك، فإن ثمّة جنّة. لأن الناس في الجنّة، يمكن أن يطلبوا من الله أن يخلّيهم أطفالاً، وأن لا يكبروا أبداً. وذلك عندما يتحقّق، لا يعود ثمّة سبب لأن يرتكب أحدٌ الجرائم. أما على الأرض؛ فلا يمكن لذلك أن يحدث إلا إذا أبقيتَ الأطفال مختبئين داخل دباديبهم وأشيائهم الأخرى التي يحبّونها. "أما بالنسبة لي؛ سأكون الحيوان الذي يخلّيكَ آمناً من محاولات البالغين كلها التي سيقومون بها لإخراجكَ من داخل الدبدوب"، أضيف.

ابني لا يريحه كل هذا الكلام الذي أقوله، وأنا على درجة كبيرة من التأثّر. أعرف ذلك؛ لأنه يبدأ بتحريك بؤبؤي عينيه في الاتجاهات كلها مخافة أن يكون الدبدوب الفضائي قد هبط فعلاً في التتخيتة. يقول لي هامساً "بابا. لا تجعل أيَّ دبدوب يبتلعني". لكنني لا أصغي. بل أجدني أقول منفعلاً "هل سمعتَ ما سمعتُه؟ لقد حانت اللحظة. هنالك ضوضاء ما في التتخيتة"، وأغادر الغرفة. أتسلّق التتخيتة، وأُخرج من شنطة السمكرية الدبدوب الضخم والقديم، والذي غدا بياضه الثلجي بعد تلك السنوات

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

كلها معفّراً بالغبار، ووسخاً. آتي به إلى ابني الذي أجده لا ... لأنه غاب عن الوعي من فرط خوفه. أرفع كُمَّ ذراعه مرّة ثانية، وأ... عن فمه. أقدِّم له الدبدوب: "هذا هو صديقنا الدبدوب الفضائي. ... أتى من أجلكَ. انظر إلى ما هو مكتوب جوانه "this is the alien teddy bear"". أتناول الشاكوش الأكثر غلاظة، وأهوي به على قلبه الصغير. ضربة واحدة تكفي ليتوقّف ابني عن التنفّس. أحمله، وأضعه على الأرض، وأهوي على جسمه بالشاكوش. أطحن الذراعين، الكتفين، الساقين، الأصابع كلها، القفص الصدري، سلسلة الظهر، الركبتين والكاحلين والحوض. الوجه الصغير لا. السجّادة مبلّلة بالدم. سأعالج هذا لاحقاً. عليّ أن أكسر كل عظمة فيه، وأن يفرغ من الدماء والبول والخراء في الوقت نفسه. فيصبح بإمكاني طيّه، كالبيوت، وحشره داخل الدبدوب دون مشقّة.

ابني لا يستيقظ أبداً. لقد فارق الحياة منذ أيام. لكن شيئاً ما يجعلني غير مقتنع بذلك. لقد حدث كل شيء بسرعة فائقة. ضربات قليلة بالشاكوش، وانتهى كل شيء. هذا ما يجعلني غير مصدّق. أفكّر في أن أجسَّ نبضه، أو أضع أذني على صدره؛ لأتأكّد. لكني لا أجرؤ على فعل ذلك. لكني في صباح اليوم التالي أُخرجه من الدبدوب الطفل، وأغسله.

كل ليلة عندما يأتي موعد نومه، أطوي جثّة ابني، وأضعها داخل الدبدوب الصغير الذي لا يتعدّى طوله طول ساعدي. بطريقة ما، فإنني أنجح دوماً في القيام بذلك. ثمّ في الصباح التالي، أُخرجه كالعادة من الدبدوب من أجل الذهاب إلى المدرسة. عندما أُخرجه يكون ما يزال نائماً. لا يستيقظ مهما حاولتُ معه. وأجد أنه تقلّص بعض الشيء. أغسله، وأفتح له أسنانه، وأفركها، لكنه لا يستيقظ، فأعدل عن إرساله إلى المدرسة، وأُعيده إلى الدبدوب الذي في الليل، أقذفه نحو السقف في الغرفة. والدبدوب يرتفع في الهواء، ويبدأ فوراً بالدوران فوق صندوق الألعاب الذي أخرجتُه من الخزانة. فأحلّ الحزامين الجلديين اللذين يغلقانه. في هذه اللحظة،

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

أنظر إلى عينيه، وأرى من خلالهما عيني ابني. أشعر أنه يُطمئنني. دوران الدبدوب فوق صندوق الألعاب يُشعرني بالنعاس، وبالسلام الداخلي الغامر الذي لم أستطع بلوغه مرّة واحدة في حياتي. فأتجه إلى السرير، سرير ابني، وأتمدّد فيه. وهناك وبينما أدخل في النوم أسمع ابني يعطس من داخل الدبدوب. كما يعطس كل الأطفال بصوت خافت. يعطس مرّة أو مرّتين فقط. ويبدو ذلك جميلاً وهائلاً وعذباً. ويفطر قلبي بشدّة، فأقول له من حيث أنا "تمخَّط! هيا، يمكنكَ حتّى أن تتمخَّط وأنت في الداخل". بينما أسمعه يسألني "بابا، ما الحيوان الذي قلتَ في المدرسة إنني تحوّلتُ إليه؛ كي أتمكّن من الخروج من الدبدوب؟".

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

فهرس المحتويات

إهداء ٧
سِكند هاند رابت..... ٩
أمعاء..... ٣١
شوپّر..... ٤١
كاپوتشينو ٥١
جلو ٥٣
كلب عيدان الكبريت..... ٧٣
غاندي المارلبورو..... ٧٧
هامستر ٨٧
مهنتي التي تشبه الشِّعْر..... ١٠١
الجرذان التي لحستْ أذنيَّ بطل الكاراتيه..... ١٠٥

مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://t.me/BookLover8

إلا أن الشبل كان واقعياً جداً. هو الوحيد الذي فهم بأنني لن أُشفى أبداً. قال لي دائماً في محلّ الفليبرز «أنا مقتنع بأنكَ لن تُشفى أبداً. لهذا أحمل معي هذا المسدّس. أنظر. هذه الماسورة من أجل ألا يصير له صوت. يعني لو أطلقتُ عليكَ النار، لن يعرف أحد بأنكَ مُتّ. ولا حتّى أنتَ نفسكَ». كان يروق لي هذا الجزء من الحكاية كثيراً. أن أموت دون أن يعرف أحد أنني ميت. لذلك كنتُ كلّما رأيتُ الشبل أقول له «أعدْ عليّ تلك الحكاية. بأنني إذا متّ لن يعرف أحد بالموضوع». فيُخرِج المسدّس بخفّة من وراء ظهره وسط قلق الأولاد الآخرين، ويخرطشه، ثمّ يقول «هذا مسدّس. وهذه الماسورة فيه، من أجل ألا يصير له صوت. يعني إذا أخذتكُ في هذه اللحظة إلى ذلك الزاروب، وقوّصتكَ هناك لن يعرف أحد من هؤلاء بأنك متّ. ولا حتّى أنت نفسكَ». فأشعر بسعادة تصل إلى تلك الندبة المكوية في إصبع قدمي الصغير، وترتعش جمجمتي، كما يحدث لي حين أتبوّل، وأقول له «خذني إلى الزاروب، وقوّصني»، وأبدو كما لو أنني أتحدّاه. إلا أنه يقول «عليك أن تُشفى أولاً. أنا لا أطلق النار على أشخاص ليسوا بكامل وعيهم العقلي»، ثمّ يأمرني بحزم أن أغرب عن وجهه.

ISBN 978-88-99687-62-5
9 788899 687625
المتوسط